

جهود السمعانيين في
ميادين الحياة العلمية في المشرق الإسلامي
(٤٠٠-٦١٨هـ / ١٠٠٩-١٢٢١م)

إعداد

الدكتور / محمد بن سليمان بن صالح الراجحي
قسم التاريخ - كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد الأولين
والآخرين ، نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن سار
على دربه ، واهتدى بهديه إلى يوم الدين . .

شهد التاريخ الإسلامي في مختلف عصوره ظاهرةً بالغة الأهمية ،
ألا وهي ظاهرة « الأسرات العلميّة » ، ففي أنحاء عديدة من الدولة
الإسلامية تميّزت فئة من الأسر في العهود الماضية بنبوغ ثلّة من أبنائها
في ميادين العلوم والمعارف ، ورث خَلْفُهُمْ عن سَلَفِهِمْ حُبّ العلم
والسعي في طلبه ، فصار سِمَةً عَظِيمَةً من سِمَاتِهِمْ ، وعلامة بارزة في
تاريخ حياتهم .

ومن هذه الأسرات - على سبيل المثال - : " بنو مندة " في مدينة
أصْبَهان ، و " بنو عساكر " في بلاد الشام ، و " بنو إسماعيل " في
إقليم جُرْجَان ، و " بنو البَحِيرِي " في مدينة نيسابور ، و " بنو
الأثير " في مدينة الموصل ، و " بنو فهد " في مكّة المكرّمة . .

ومن أشهر الأسر التي نبغ أبنائها في ميادين العلوم ، أسرة
«السمعانيّين» في بلاد المشرق الإسلامي ، وهي أسرة عربيّة عريقة ،
ذاع صيتها في الفترة الواقعة بين مطلع القرن الخامس وأوائل القرن
السابع الهجريين (٤٠٠ - ٦١٨ هـ) ، حيث شهدت هذه الفترة التاريخية
بروز عدد من أبناء هذه الأسرة الكبيرة ، اشتهروا في ميادين العلم
والفكر والأدب ، وصارت لهم منزلة رفيعة في إقليم خراسان بخاصّة ،
وفي منطقة المشرق الإسلامي بعامّة ، واتسعت شهرتهم ، وانتشر

صيتهم في الآفاق .

وكان أعظمهم شأنًا ، وأوسعهم علمًا ، الإمام العلامة « أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني » ، صاحب كتاب « الأنساب » ، المولود سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٣ م ، والمتوفى سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م ، فقد كان واسطة عقدهم ، « وعينهم الباصرة ، ويدهم الناصرة ، إليه انتهت رئاستهم ، وبه كملت سيادتهم » ^(١) .

وكان جدّه الإمام " أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني " ووالده " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " وابنه " عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني " من العلماء البارزين والحفاظ المميزين أيضًا ، وإلى جانب هؤلاء الأعلام كان هناك العديد من أبناء الأسرة السمعانية ممن عُرفوا بالعلم والفضل ، وكان لهم أثرهم في مختلف ميادين الحياة العلمية في المشرق الإسلامي .

وقد أثنى العلماء على البيت السمعاني ثناءً كبيراً ، وأطنبوا في المديح لأبنائه ، ولا غرو فقد أخرج ذلك البيت بضعة عشر علماً من أولي العلم والأدب ، كان كلُّ منهم أهلاً للثناء ، ومحلّاً للإطراء . . يقول المؤرخ " ابن الأثير " في أثناء حديثه عن الإمام الحافظ " أبي سعد السمعاني " : « . . وهو من بيت علم اجتمع لهم رئاسة الدنيا والدين ، ونالوا منها الحظّ الوافر الذي لم ينله غيرهم » ^(٢) .

(١) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، ج١، ص ١٤ .

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ١٣ .

وهذا البحث يُسلّط الضوء على جانبٍ مهمٍّ في حياة تلك الأسرة العربية المتميّزة ، ألا وهو « جهودهم في ميادين الحياة العلمية في المشرق الإسلامي » ، في الفترة التي ذاع صيتهم فيها ، وانتشر ذكرهم في مختلف البلدان . .

لقد أسهم السمعانيّون إلى حدٍّ كبير في ميادين الحياة العلمية في منطقة المشرق لفترة تربو على قرنين من الزمن ، وكان لهم أثرٌ بيّنٌ في نموّها وتطوُّرها ، ولم يأت ذلك من فراغ ، وإنّما كان مردهً إلى ما تمتّع به كثيرٌ منهم من علم ونباهة وإدراك ، وإلى ما اشتهروا به من دأب في طلب العلم وصبر على مواجهة الصعاب في سبيل تحصيله وبلوغ أسمى مراتبه ، فكانوا يجوبون البلدان ، ويرحلون إلى المدن والقرى ، يلتقون بالعلماء ، فيتلمذون عليهم ، ويُفيدون من علمهم وأدبهم . .

كانت للسمعانيّين جهودٌ مُميّزة في ميدان الرحلة في طلب العلم ولقاء العلماء والسماع منهم والرواية عنهم ، وفي العناية بالعلوم المختلفة ، كالعلوم الشرعية واللغة العربية والأدب والشعر والتاريخ والتراجم والأنساب والجغرافيا ، حيث نبغوا في هذه العلوم ، وأسهموا في نشرها ، وأفادوا كثيراً من طلاب العلم في أيّامهم في مختلف أصقاع المشرق الإسلامي ، بل وفي غيره من الأقاليم والبلدان الإسلامية .

كما كانت لهم جهودٌ ملموسة في ميدان التعليم في المساجد والمدارس ، في مدينة " مرو " وفي غيرها من مدن المشرق ، وفي رواية العلم ونشره بين الناس ، وكانت لهم أيضاً جهودٌ في إنشاء بعض

خزائن الكتب ، التي أضحت في أيامهم حافلة بكنوز عظيمة من المصنّفات في سائر العلوم ، وأفاد منها الكثير من العلماء . . هذا فضلاً عن جهودهم القيّمة في ميدان التصنيف والإنتاج العلمي ، والتي أسهمت في إثراء المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب ، في مختلف فنون العلم . .

لقد حاولتُ في هذه الدراسة إبراز هذه الجهود ، وقسمت الحديث عنها إلى عدّة عناصر ، ومهدتُ لها بنبذة عن مشاهير السمعانيين ، مرتّباً ذلك ترتيباً زمنياً ، مبتدئاً بالحديث عن أوّل مَنْ اشتهر منهم ، وهو " أبو منصور محمد بن عبد الجبّار السمعاني " الذي عاش في النصف الأوّل من القرن الخامس الهجري ، ثمّ أبناؤه وأحفاده ، حتّى الفترة التي اضمحلّ فيها شأنهم وتلاشى ذِكْرهم ، وهي أوائل القرن السابع الهجري . .

ثمّ تحدّثتُ عن جهودهم في ميادين الحياة العلمية في المشرق الإسلامي ، وذلك على النحو التالي :

- جهود السمعانيين في ميدان الرحلة في طلب العلم ولقاء العلماء .
- جهودهم في العناية بالعلوم الشرعية .
- جهودهم في العناية باللغة والأدب .
- جهودهم في العناية بالتاريخ والتراجم والأنساب والجغرافيا .
- جهودهم في ميدان التعليم .

- جهودهم في إنشاء خزائن الكتب .

- جهودهم في ميدان التصنيف .

وفي الخاتمة استعرضتُ أهمّ النتائج التي خرجتُ بها من خلال دراستي لهذا الموضوع . كما ذيلتُ هذا البحث بثلاثة ملاحق ، ذكرتُ في أولها نسب السمعانيين ، وأوردتُ في ثانيها قائمة بأسماء أعلامهم ، ووضعتُ في الثالث شجرة السمعانيين في المشرق . .

السمعانيون :

ينتمي « السمعانيون » إلى أصول عربية عريقة ، حيث ينحدرون من بطن من بطون تميم يُدعى « سَمْعَان »^(١) . وكان أجداد هذه الأسرة العربية قد سكنوا مدينة " مَرَوْ " ^(٢) - حاضرة إقليم خراسان - منذ زمن بعيد ^(٣) ، وعاش فيها أبناؤهم وأحفادهم من بعدهم .

(١) السمعاني : الأنساب ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، الطبعة الأولى ، دار الجنان ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ ، ابن الأثير : اللباب ، ج ١ ، ص ١٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ج ٣ ، ص ٢١١ ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت ، ج ٢ ، ص ٤٤ ، ابن الوردي : تاريخه ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ج ٢ ، ص ١٠٤ ، ابن أبيك الصفدي : الوافي بالوفيات ، الطبعة الثانية ، دار فرانز شتاينر ، فيسبادان ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م ، ج ٣ ، ص ٢١٤ ، اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ، ج ٣ ، ص ١٥٢ ، ابن هداية الله : طبقات الشافعية ، تحقيق : عادل نويهض ، الطبعة الثالثة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ١٨٠ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ .

(٢) (مَرَوْ) : حاضرة إقليم خراسان وأشهر مدنه ، وهي مدينة قديمة قيل إنها من بناء " ذي القرنين " ، اتخذها السلطان السلجوقي " سنجر بن ملكشاه " حاضرة لدولته في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، وأخرجت كثيراً من العلماء والأعيان .

انظر : (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ج ٥ ، ص ١١٢ - ١١٤) .

(٣) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمه من الروسية إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٣٤٣ .

وقد ظلت خراسان موطنًا للسمعانيين على مدى الفترة التي شهدت علو شأنهم واتساع شهرتهم ، وكانت في مستهل القرن الخامس الهجري - وهي الفترة التي شهدت بداية ظهور السمعانيين على الساحة العلمية في المشرق الإسلامي - خاضعةً لنفوذ الدولة الغزنوية ، ثم دخلت قبيل نهاية الثلث الأول من ذلك القرن تحت سيطرة السلاجقة ، الذين سيطروا على معظم أقاليم المشرق الإسلامي ، وظلت كذلك حتى النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، حيث انضوت تحت لواء الدولة الخوارزمية . . وهكذا عاش السمعانيون معظم الفترة التي اتسعت خلالها شهرتهم وذاع فيها صيتهم ، في ظل الدولة السلجوقية ، ثم الدولة الخوارزمية ^(١) .

(١) للتعرّف على تواريخ هذه الدول ، وانتشار نفوذها في خراسان ومناطق المشرق الإسلامي الأخرى ، انظر : (الكرديزي : زين الأخبار ، ترجمته من الفارسية إلى العربية : عفاف السيد زيدان ، الطبعة الأولى ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ج٢ ، ص ٢٨١-٣٣٦ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ج٨ ، ص ٦٨٣-٦٨٧ ، ج٩ ، ص ١٠٢-١٠٣ ، ١٣٠-١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٦-١٤٧ ، ٣٩٨-٤٠٠ ، ٤٧٣-٤٨٤ ، ج١٠ ، ص ٢٦٧-٢٦٨ ، ج١٢ ، ص ١٥٦-١٥٨ ، ١٧٣-١٧٧ ، ٢٢٦-٢٣٠ ، البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، الطبعة الثالثة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٧ وما بعدها) .

ومن المراجع الحديثة عن هذه الدول ، انظر أيضاً : (عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ، ترجمه من الفارسية إلى العربية : محمد علاء الدين منصور ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ١٦٩-١٩٩ ، ٢٢٧ وما بعدها ، ٣١٩-٣٤٢ ، عبد النعيم محمد حسين : سلاجقة إيران والعراق ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ، ص ٩-١١ ، ١٦-٤٥ ، سعد بن محمد الغامدي أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ١٠٧-١١٠ ، ١٦١-١٦٩ ، ١٧٥-١٨٢ ، أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، الطبعة الثانية ، ذات السلاسل ، الكويت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٢١ وما بعدها) .

ويُعدّ الإمام " محمد بن عبد الجبار السمعاني " - الذي عاش في النصف الأول من القرن الخامس الهجري - أول مَنْ اشتهر من السمعانيين في بلاد المشرق الإسلامي ، وهو " أبو منصور محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله السمعاني التميمي " ^(١) . كان إماماً فاضلاً عالماً قاضياً مشهوراً بالورع والتقوى ^(٢) ، كما كان ذا منزلة سامية ومكانة عالية بين علماء بلدته ، فقد ذكر بعض المؤرخين أنّه يُعدّ « من وجوه مشائخ مرو وأفاضلهم » ^(٣) .

وكان يحظى بتقدير كبير واحترام بالغ من العلماء المعاصرين له ، ومن الشواهد الجليّة على ذلك ما ذكره الأديب " أبو الحسن الباخري " - المتوفى سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م - من أنّه حضر ذات يوم مجلساً من مجالس وعظّه ، فطلب إليه الإمام " أبو منصور السمعاني " بعد انتهاء المجلس أن يُنبّهه إلى ما قد يكون جرى على لسانه من سهو أو نحوه في أثناء حديثه ، فردّ عليه " الباخري " بما يدلّ على مكانته العلمية السامية عنده وعند غيره من علماء عصره ، حيث قال : « معاذ الله أن

(١) السمعاني : الأنساب ج٣ ، ص ٢٩٨ ، القرشي : الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، تحقيق : د. عبد الفتاح محمد الخلو ، الطبعة الثانية ، هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ، ج٣ ، ص ٢٠٦ .

(٢) السمعاني : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٩٨ ، القرشي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٠٦ .

(٣) الصريفي : المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ، تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ٤٤٢ .

أكون منك بهذه المنزلة » ^(١) .

وبالرغم من هذه المنزلة الرفيعة التي كان يتبوّؤها الإمام أبو منصور السمعاني " ، إلا أن المصادر التاريخية لا تقدّم معلومات وافية عن سيرته ، ولم تُسهب كتب التراجم في الحديث عنه . وقد توفي - رحمه الله - في مدينة " مرو " في إقليم خراسان ، في شهر شوال سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ^(٢) .

كان للإمام " أبي منصور السمعاني " عددٌ من الأبناء برز منهم اثنان " أبو المظفر منصور " و " أبو القاسم علي " . أمّا " أبو المظفر " فهو إمامٌ حافظٌ وعلمٌ كبيرٌ من أعلام السمعانيين في المشرق الإسلامي . وُلد في ذي الحجة سنة ٤٢٦ هـ ^(٣) . وكان ألمع آل بيته ، وأعظمهم قدراً ، وأوسعهم علماً ، باستثناء حفيده الحافظ " أبي سعد السمعاني " .

(١) الباخريزي : دمية القصر وعُصرة أهل العصر ، تحقيق : د. سامي مكّي العاني ، الطبعة الثانية ، دار العروبة ، الكويت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ج٢ ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : الدكتور : عمر عبد السلام تدمري ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، حوادث ووفيات (٤٤١ - ٤٥٠ هـ) ، ص ٢٥٨ ، العبر في خبر من غبر ، تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ج٢ ، ص ٢٩٧ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٣ ، ص ٢٨٧ .

(٣) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، ج٢ ، ص ١٣٩ ، الداوودي : طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج٢ ، ص ٣٤٠ ، طاش كبري زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ج٢ ، ص ٣٠٠ .

اشتهر الإمام العلامة " أبو المظفر السمعاني " ، بأنه « إمام عصره بلا مُدافعة ، وعديم النظر في فنّه »^(١) ، ووصفه الحافظ " الذهبي " بـ « الإمام العلامة ، مفتي خُراسان »^(٢) . كما امتدحه بعض العلماء فقالوا بأنه « وحيد عصره في وقته فضلاً وطريقةً ، وزهداً وورعاً ، من بيت العلم والزهد »^(٣) . وأثنى عليه " السبكي " فوصفه بـ « الإمام الجليل ، العَلَمُ الزاهد الورع ، أحد أئمة الدنيا »^(٤) . كما وصفه بـ « الرفيع القدر ، العظيم المحلّ ، المشهور الذكر ، أحد من طبق الأرض ذكره ، وعبق الكون نشره »^(٥) .

وكان " العلامة " أبو المظفر السمعاني " إماماً « من أئمة المسلمين ، وأعلام الدين »^(٦) ، « وحجّة لأهل السنة »^(٧) ، وكان - رحمه الله - ذا حافظة قوية ، وذاكرة متميّزة ، يدلّ على ذلك أنه كان

(١) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٢٩٩ .

(٢) سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج ١٩ ، ص ١١٤ .

(٣) الصريفي : المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ، ص ٤٤٢ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٣٢٣ ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٥ .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٣٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣٣٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣٤٤ .

(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٦ .

يقول : « ما حفظت شيئاً فنسيته » ^(١) ! .

كان " أبو المظفر " في أوّل أمره حنفي المذهب ، بل كان من أئمة الحنفية ، ولكنه بعد أن حجّ في سنة ٤٦٢ هـ ، ترك مذهب الأحناف ، وانتقل إلى مذهب الإمام الشافعي . ولما عاد إلى مدينة " مرو " لقي بسبب تحوّلّه عن مذهبه محناً شديدة ، فصبر على ذلك ، ولم يلبث أن صار إماماً للشافعية في بلاد خراسان ^(٢) . ويتحوّل " أبي المظفر السمعاني " إلى المذهب الشافعي ، أضحى السمعانيون في المشرق

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م / ، ج١٧ ، ص ٣٨ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١-٤٩٠ هـ) ، ص ٣٢٦ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٤٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم ، وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ج ١٢ ، ص ١٦٤ ، ابن قاضي شهاب : طبقات الشافعية ، تحقيق: د. عبد العليم خان ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م / ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .

(٢) عن تحوّل الإمام " أبي المظفر السمعاني " من المذهب الحنفي إلى المذهب الشافعي انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج ١٧ ، ص ٣٧ ، الرافعي : التدوين في أخبار قزوين ، تحقيق: عزيز الله العطاردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م / ، ج ٤ ، ص ١١٨-١١٩ ، ابن الأثير : اللباب ، ج ١ ، ص ١٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٢١١ ، الأسنوي : طبقات الشافعية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ج ١ ، ص ٣٢١ ، الياضي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج ٣ ، ص ١٥١ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٣٧-٣٤١ ، القرشي : الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ ، ابن قاضي شهاب : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٢٨١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م / ، ج ٥ ، ص ١٥٨ ، الداودي : طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ ، ابن هداية الله : طبقات الشافعية ، ص ١٨٠ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٣ ، ص ٣٩٣ .

شافعية بعد أن كانوا حنفية ، وصار كل من جاء بعد " أبي المظفر " من أولاده وأحفاده على مذهب الإمام الشافعي ^(١) .

توفي الإمام " أبو المظفر السمعاني " ، في مدينة " مرو " - حاضرة إقليم خراسان - في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول ، سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م ^(٢) ، رحمه الله تعالى .

أما شقيقه " أبو القاسم علي بن محمد بن عبد الجبار السمعاني " فهو وإن كان أقل منه منزلة إلا أنه كان يعد أيضاً من مشاهير السمعانيين الأوائل وأعلامهم ، فقد كان - كما وصفه بعض المؤرخين - رجلاً فاضلاً عالماً ظريفاً ^(٣) ، ذا جاه ومكانة رفيعة ^(٤) .

كان " أبو القاسم السمعاني " في أول أمره مقيماً مع آل بيته في إقليم خراسان ، حيث أمضى هناك شطراً من حياته ، ولكنه - ولسبب غير معلوم - رحل إلى بلاد " كرمان " ^(٥) ، الواقعة إلى الجنوب الغربي من إقليم خراسان ^(٦) ، وسرعان ما لمع نجمه ، وذاع صيته

(١) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٥ ، ص ٣٤١ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٢٩٩ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ٢١١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص ١٦٤ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص ١٥٨ ، طاش كبري زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، ج٢ ، ص ٣٠٠ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٢٩٨ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٥ ، ص ٣٣٦ .

(٥) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٢٩٨ .

(٦) (كَرْمَان) : - بفتح الكاف ويجوز بكسرهما - وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ، تضم مدنًا وقرى كثيرة ، وتقع بين أقاليم " فارس " و " مكران " و " سجستان " و " خراسان " . (ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٤٥٤) وانظر عن موقع " كرمان " أيضاً : (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، =

فيها ، بدرجة فاقت ما كان عليه أثناء مُقامه في خراسان ، فقد صارت له حظوة عند ملكها ^(١) ، وصاهر أحد وزرائه ^(٢) .

وفي تلك البلاد رُزق عددًا من الأبناء ^(٣) ، اشتهر من بينهم " أبو العلاء علي بن علي بن محمد بن عبد الجبار السمعاني " ^(٤) . . . ويُفهم مما أورده الإمام " أبو سعد السمعاني " في « أنسابه » ^(٥) ، أن " أبا القاسم السمعاني " ظلّ يقيم مع أبنائه في إقليم " كرمان " بقيّة حياته ، ولكنّ صلّاته بآل بيته في خراسان لم تنقطع ، فقد بعث ابنه " أبا العلاء " إلى مدينة " مرو " - حاضرة ذلك الإقليم - ليتفقّه على عمّه الإمام الحافظ " أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني " ^(٦) .

= ترجمة : بشير فرنسيس ، وكوركيس عوّاد ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م ، الخارطة « ١ » .

(١) لم تكشف المصادر التاريخية عن شخصيّة حاكم بلاد " كرمان " الذي حظي " أبو القاسم السمعاني " بمكانة عالية عنده ، وكانت " كرمان " في تلك الفترة تحت حكم فرع من فروع السلاجقة ، عُرفوا بـ (سلاجقة كرمان) ، وقد حكموها منذ سنة ٤٣٣هـ انظر : زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة : د. زكي محمد حسن ، وآخرين ، القاهرة ، ١٩٥١ م ، ص ٣٣٥ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ .

(٤) ذكره " السمعاني " باسم (علي بن علي السمعاني) (الأنساب ، ج ٣ ، ص ٢٩٨) ، بينما ذكره " السبكي " باسم (عالي بن علي) (طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٣٦) . ولا شك أنّ قول " السمعاني " مقدّم على غيره ، فهو أدرى ببني عمّه وأفراد أسرته .

(٥) الأنساب ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ .

أقام " أبو العلاء السمعاني " في إقليم خراسان فترة من الزمن لطلب العلم ^(١) ، ثم عاد إلى بلاد كرمان ، حيث ظلّ يعيش فيها مع والده ، وهناك وُكِّد له عددٌ من الأبناء ^(٢) ، ووفقاً لما يذكره الحافظ " أبو سعد السمعاني " فقد كان يُعاصره عددٌ من أولاد " أبي العلاء " ، وكانوا - كما يقول - من العلماء الفضلاء ^(٣) .

ولا نقف في المصادر التاريخية على معلومات أخرى تكشف النقاب عن أخبار أبناء " أبي العلاء السمعاني " وأوضاعهم في إقليم " كرمان " ، وماذا كان من أمرهم في العهود التالية ، ولعلّ ثناء الإمام " أبي سعد السمعاني " على مَنْ كان يُعاصره منهم يُعطي دلالةً واضحةً على أنّهم ظلّوا من حَمَلَةِ العلم ، شأنهم في ذلك شأن أبناء عموماتهم في " خراسان " .

ومن أعلام السمعانيين في المشرق الإسلامي " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " ، وهو الابن الأكبر للإمام " أبي المظفر منصور السمعاني " ووالد الإمام الحافظ " أبي سعد السمعاني " . وُكِّد " أبو بكر " هذا سنة ٤٦٦ هـ / ١٠٧٣ م ^(٤) ، وفي رواية سنة ٤٦٧ هـ /

(١) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٩٨-٢٩٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٩٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ ، القفطي : إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ، الداودي : طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

١٠٧٤م^(١) ، ونشأ في بيت علم وأدب ، ولذا كان أمراً طبعياً أن يتأثر ببيئته التي ترعرع فيها ، وأن يصبح مُحباً للعلم منذ حداثة سنّه ، حريصاً على تحصيله^(٢) ، شغوفاً به ، حتى إذا ما اشتدّ عوده أضحى واحداً من أبرز أبناء الأسرة السمعانية في المشرق .

كان " أبو بكر السمعاني " رجلاً « فاضلاً ، حسن السيرة ، بعيداً من التكلف ، صدوقاً »^(٣) ، كما كان « إماماً حافظاً »^(٤) . وصفه بعض العلماء بـ « الإمام بن الإمام بن الإمام ووالد الإمام »^(٥) نشأ في عبادة الله تعالى ، وفي تحصيل العلم منذ الصبا ، وجُمعت فيه الخلال الجميلة من الإنصاف والتواضع والتودّد^(٦) .

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ٣٧٢ . وقد وَهَمَ " ابن الأثير " - رحمه الله - بقوله إنَّ " أبا بكر السمعاني " وُلد سنة ٤٤٦ هـ (الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ، ص ٥٢٤) .

(٢) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، وعلي معوض ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ٢٨٤ ، الإسنوي : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٢٣ ، الداودي : طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ، ابن الصلاح : طبقات الفقهاء الشافعية ، تحقيق : محيي الدين علي نجيب ، الطبعة الأولى ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، ج ١ ، ص ٢٧٤-٢٧٥ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ٦ ، ابن قاضي شُهبة : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٠٣ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٩ .

(٣) ابن الصلاح : طبقات الفقهاء الشافعية ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .

(٤) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، ج ١ ، ص ١٣ .

(٥) ابن قاضي شُهبة : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٦) ابن الصلاح : طبقات الفقهاء الشافعية ، ج ١ ، ص ٢٧٤-٢٧٥ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ٦ ، الإسنوي : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٢٣ ، ابن قاضي شُهبة : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٠٣ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٩ .

وقد مدحه الحافظ " أبو طاهر السلفي " ^(١) بقوله :

هو المُرَنيّ إِيَّانُ الفتاوى وفي علم الحديث الترمذيّ

وجاحظ عصره في الشر صدقاً وفي وقت التشاعر بُحْثريّ

وفي النحو الخليلُ بلا خلاف وفي حفظ اللغات الأصمعيّ ^(٢)

لم يُعمّر " أبو بكر السمعاني " طويلاً ، بل اخترمته المنية وهو في
عنفوان شبابه ، وذلك في يوم الجمعة الثالث من شهر صفر ، سنة
٥١٠ هـ / ١١١٦ م ، عن عمر يناهز الثالثة والأربعين عاماً ^(٣) . وقد تألم
أصحابه ومريدوه لوفاته ، لاسيّما وأنه مات وهو لم يزل شاباً ،
وظلّت ذكراه عالقةً في أذهانهم ، وكان أحد أصحابه إذا ذكره تمثّل
بقول " أبي فراس الحمداني " ، وهو يُخاطب ابنته ويرثي حاله :

زَيْنُ الشَّبابِ أَبُو فِرَاسٍ سِلمٍ يُمَتِّعُ بِالشَّبابِ ^(٤)

(١) هو أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني ، إمامٌ وحافظٌ مشهور ، من كبار علماء الحديث ، تنقّل بين عدد من البلدان ، وتوفي سنة ٥٧٦ هـ ، انظر ترجمته في : (السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٢٧٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص ١٠٥-١٠٧ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢١ ، ص ٣٩٠-٣٩١) .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص ٩ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٣٠٠ ، ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج١٧ ، ص ١٥٠ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج ٤ ، ص ١٢٦٨ ، ابن قاضي شهاب : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٠٣ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ص ٤٦٠ . وقد وهّم " الصفدي " بقوله إن " أبا بكر السمعاني " توفي سنة ٥٠٩ هـ (الوافي بالوفيات ، ج ٥ ، ص ٧٥) .

(٤) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٣٠٠ ، وانظر أيضاً : ديوان أبي فراس الحمداني ، تحقيق : د. إبراهيم السامرائي ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، عمّان ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٣٢ .

ومن أشقاء الإمام " أبي بكر السمعاني " " أبو محمد الحسن بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني " . . . وُلد في سنة ٤٦٨ هـ^(١) وكان على جانب من الفضل والعلم والورع . وصفه الإمام الحافظ " أبو سعد السمعاني " بقوله : « كان إماماً زاهداً ورعاً ، كثير العبادة والتهجد ، نظيفاً منوراً ، مليح الشية ، منقبضاً عن الخلق »^(٢) .

وعلى الرغم من ثناء الإمام " أبي سعد السمعاني " في كتابيه «الأنساب»^(٣) و «التحبير في المعجم الكبير»^(٤) على عمّه " أبي محمد الحسن بن منصور السمعاني " ، فإنه يبدو رجلاً مغموراً عند جمهرة المؤرخين ، فلا نظفر بمعلومات عنه في المصادر الأخرى ، وليس ثمة ما يكشف عن الجوانب الأخرى من حياته ، وقد توفي - رحمه الله - في شهر جمادى الأولى سنة ٥٣١ هـ^(٥) .

كان لأبي محمد الحسن بن منصور السمعاني عدد من الأبناء ، اشتهر من بينهم " أبو منصور محمد بن الحسن السمعاني " . . . وصفه ابن عمّه الإمام " أبو سعد السمعاني " بأنه كان « شاباً فاضلاً ظريفاً »^(٦) وأشار إلى أنه كان محباً للعلم والأدب ، وأنه سمع من عدد من العلماء ، وأفاد منهم^(٧) .

(١) السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ، تحقيق : منيرة ناجي سالم ، بغداد ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ .

(٤) التحبير في المعجم الكبير ، ج ١ ، ص ٢١٦ .

(٥) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٣٠١ ، التحبير في المعجم الكبير ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

(٦) الأنساب ، ج ٣ ، ص ٣٠١ .

(٧) السمعاني : التحبير ، ج ٢ ، ص ١١٢ .

على أن الإمام " أبا سعد السمعاني " كانت له بعض المآخذ عليه ، فقد أشار إلى أنه كان ذا ميل إلى اللهو والعبث ، ولم يكن على شاكلة أسلافه من السمعانيين ممن عُرفوا بالدين والورع . وقد توفي وهو لما يزل شاباً ، وذلك ليلة عرفة سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٩ م ، ولم يكن قد بلغ الأربعين من عمره ^(١) .

ومن اشتهر من السمعانيين ، وذاع صيته ، وعلا شأنه في بلاد المشرق الإسلامي " أبو القاسم أحمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني " ، ويُعزى علو مقامه إلى ما عُرف عنه من علم وفضل ، شأنه في ذلك شأن أسلافه من السمعانيين . وُلد سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤ م ، و« كان إماماً فاضلاً ، عالماً مناظراً مفتياً له فضائل جمّة ، ومناقب كثيرة ، وكان حياً وقوراً ، ثابتاً حمولاً صبوراً » ^(٢) . وقد توفي في الثالث والعشرين من شهر شوال سنة ٥٣٤هـ / ١١٤٠ م ^(٣) .

برز من أبناء أبي القاسم السمعاني " أبو المعالي (وقيل أبو بكر) محمد بن أحمد بن منصور السمعاني " ^(٤) . وكان علماً متميّزاً ،

(١) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٣٠١ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٣٠١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٣٠١ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٦ ص ٦٦ .

(٤) ذكر " المنذري " أن " محمد بن أحمد بن منصور السمعاني " يكنى " أبا المعالي " ، انظر : (التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق : د . بشار عواد معروف ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤ م ، ج١ ، ص ٦٠) في حين أشار " السبكي " إلى أنه يكنى " أبا بكر " ، انظر : (طبقات الشافعية الكبرى ، ج٦ ، ص ٨٧) .

ورجلًا وجيهاً ، ذا منزلة عالية ، ومكانة مرموقة . وصفه المنذري " بـ « الشيخ الأصيل » ^(١) ، كما وصفه " السبكي " بأنه « شاب رفيع الشأن ، من صدور خراسان ، ومن أفراد الزمان » ^(٢) . وكان بارعاً في الخطابة ، مشهوراً بالفصاحة والبلاغة ^(٣) .

وعلى الرغم من هذه المكانة العالية التي كان يتمتع بها ، والفصاحة التي كان يتّصف بها ، فإن كثيراً من المؤرخين لا يعرف شيئاً عنه ، ولم تترجم له جلّ كتب التراجم ، بل إن " أبا سعد السمعاني " لم يُشر إليه في « أنسابه » عندما تحدّث عن المشاهير من آل بيته . وقد توفي في مدينة بغداد ، وكان قد سار إليها وأقام بها فترة من الزمن ^(٤) .

لم يكن نبوغ السمعانيين في المشرق مقتصرًا على رجالهم فحسب ، بل ظهر منهم نساء كُنَّ على جانب كبير من الفضل والعلم والورع ، كان منهنّ " أمة الله حرة بنت محمد بن منصور السمعاني " ، شقيقة الإمام الحافظ " أبي سعد السمعاني " . ولدت في شهر رجب سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م ^(٥) ، وكانت « امرأةً صالحةً عفيفةً ، كثيرة الدرس للقرآن ، مديمة للصوم ، راغبة في الخير وأعمال البر » . أجاز لها " أبو غالب محمد بن الحسن الباقلائي " ، وذكر شقيقها الحافظ " أبو

(١) المنذري : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٠ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٦ ، ص ٨٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٨٧ .

(٤) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، ج ١ ، ص ٦٠-٦١ .

(٥) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٣٠١ .

سعد السمعاني " في « أنسابه » أنه قرأ عليها أحاديث وحكايات^(١) ، ولم يُشر إلى تاريخ وفاتها ، ولعلّها عاشت إلى ما بعد وفاته في سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٧م .

ومن عُرف من أبناء الأسرة السمعانية في المشرق " أبو المظفر عبد الوهاب بن محمد بن منصور السمعاني " ، الأخ الأكبر للإمام أبي سعد السمعاني^(٢) . وُلد في السابع والعشرين من المحرم سنة ٥٠٥هـ / ١١١١م^(٣) . وعده أبو سعد السمعاني من شيوخه ، رغم أنه مات قبل سنّ البلوغ ، حيث ترجم له في كتابه « التحبير في المعجم الكبير »^(٤) . وهو الكتاب الذي خصّصه " السمعاني " لتراجم شيوخه^(٥) . وقد توفي في آخر يوم من ذي الحجة سنة ٥١٧هـ / ١١٢٤م^(٦) .

في تلك الفترة كان نجم الإمام العلامة " أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني " قد بدأ في البزوغ ، وهو ما يعني بداية مرحلة جديدة بالغة الأهمية في حياة تلك الأسرة الكبيرة المتألّقة (أسرة السمعانيين) في إقليم خراسان بخاصة ، وبلاد المشرق الإسلامي بعامة .

(١) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٠١ .

(٢) السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ، ج ١ ، ص ٥٠٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٠٣-٥٠٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٠٣-٥٠٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣ ، ٤٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٠٤ .

وكذا الحافظ " أبو سعد السمعاني " في شعبان سنة ٥٠٦هـ / ١١١٣ م ، في مدينة " مرو " - حاضرة إقليم خراسان - وتوفي والده وهو في الرابعة من عمره ^(١) ، فعاش في كنف أعمامه وآل بيته ، ونشأ منذ صغره مُحباً للعلم ^(٢) ، دؤوباً في طلبه ، وظلّ كذلك حتى أضحى واحداً من أعظم العلماء الذين أنجبتهم بلاد المشرق الإسلامي على مرّ العصور .

كان الإمام " أبو سعد السمعاني " - رحمه الله تعالى - محلّ ثناء العلماء وتقديرهم ، ولا غَرْو فهو ألعّ السمعانيين في المشرق ، وأوسعهم شهرةً ، وأعظمهم قدراً و منزلة . فكان علامةً بارعاً ذكياً ، « ثقةً حافظاً حجةً واسع الرحلة ، عدلاً ديناً جميل السيرة ، حسن الصحبة » ^(٣) . كما كان « واسع العلم ، كثير الفضائل ، ظريفاً لطيفاً متجملاً نظيفاً ، نبيلاً شريفاً » ^(٤) ، عالي الهمّة في طلب العلم ، مجتهداً ، ضابطاً لأوقاته ^(٥) .

(١) توفي والده (محمد بن منصور السمعاني) سنة ٥١٠هـ - كما تقدّم .

(٢) ابن عبد الهادي الدمشقي : طبقات علماء الحديث ، تحقيق : أكرم البوشي ، و إبراهيم الزبيق ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ج٤ ، ص ٩٣ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠هـ) ، ص ١١٩ - ١٢٠ ، تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ١٣١٦ ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص ٤٥٦ - ٤٥٧ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص ١٨١ ، الأستوي : طبقات الشافعية ، ج١ ، ص ٣٣٧ .

(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص ١٣١٦ .

(٤) العبر في خبر من غير ، ج٣ ، ص ٣٨ .

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠هـ) ، ص ١٢١ .

وقد وصفه معاصره الحافظ " ابن عساكر " - صاحب « تاريخ دمشق » - بقوله : « .. وكان عفيفاً حسن الأخلاق طوّف فاستفاد ، وحدث فأفاد ، وأحيا ذكر سلفه ، وأبقى ثناء صالحا خلفه وهو الآن ^(١) شيخ خراسان غير مدافع ، عن صدق ومعرفة ، والله يُقيّيه لنشر السنة ، ويوفّقه لأعمال أهل الجنة ^(٢) » . . وأُتنب " ابن الأثير " في مدحه فقال : « كان واسطة عقد البيت السمعاني ، وعينهم الباصرة ، ويدهم الناصرة ، إليه انتهت رئاستهم ، وبه كملت سيادتهم ، رحل في طلب العلم والحديث إلى شرق الأرض وغربها ، وشمالها وجنوبها » ^(٣) .

ويمكن القول : إنّ الشهرة الواسعة والمكانة العالية التي حظي بها السمعانيّون ، إنّما كان من أسبابها ما بلغه الإمام أبو سعد السمعاني " - بوجه خاص - من شأن كبير في الميدان العلمي ، وما ناله من منزلة رفيعة عند العلماء على امتداد العصور .

وعلى الرغم من إجماع الكثير من العلماء على علو منزلة الإمام " أبي سعد السمعاني " ، وطول باعه في مختلف العلوم والمعارف ، إلّا أنّه لم يَنْجُ من نقد بعض معاصريه ، بل وتحاملهم عليه ، فقد انتقده الإمام الحافظ " ابن الجوزي " انتقاداً لاذعاً ، وبالع في الخط من قدره ^(٤) .

(١) أي في أيام الحافظ " ابن عساكر " المتوفى سنة ٥٧١ هـ .

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، بيروت ، ج٦ ، ص ٤٤٨ .

(٣) اللباب في تهذيب الأنساب ، ج١ ، ص ١٤ .

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج١٨ ، ص ١٧٩ .

وقد انبرى عددٌ من المؤرخين - ومنهم : " ابن الأثير " ^(١) و " أبو الفداء " ^(٢) و " ابن الوردي " ^(٣) - للدفاع عن " السمعاني " ، ونفوا عنه ما ذكره " ابن الجوزي " ، وأشاروا إلى أن اختلاف مذهب الرجلين هو الذي دفع " ابن الجوزي " إلى استنقاص شأن " السمعاني " .

هذا وقد ظلّ الإمام " أبو سعد السمعاني " معظم سنيّ حياته دؤوباً في طلب العلم ، حريصاً على تحصيله ، مجتهداً في لقاء العلماء والإفادة منهم ، كثير التنقل والترحال بين المدن والبلدان ، ولم يزل على تلك الحال حتى لقي وجه ربّه الكريم ، في مستهلّ ربيع الأول سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م ^(٤) ، في مدينة " مرو " ^(٥) ، بعد أن بلغ السادسة والخمسين من عمره ، رحمه الله تعالى رحمةً واسعة .

(١) الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣٣٣ .

(٢) المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٤٤ .

(٣) تاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

(٤) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، ج ١ ، ص ١٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٢١٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٤٦٣ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٥٦ (أشار " ابن الجوزي " و " ابن الوردي " إلى أن الإمام " السمعاني " توفي سنة ٥٦٣ هـ ، وليس ذلك بصحيح ، انظر : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج ١٨ ، ص ١٧٨ ، تاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ، ص ١٠٤) .

(٥) ابن الأثير : اللباب ، ج ١ ، ص ١٦ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ١٨٥ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٤ ، ص ٢٠٦ .

ترك " أبو سعد السمعاني " بعد وفاته عددًا من الأبناء ، كان أشهرهم " فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني " وُلد " عبد الرحيم " هذا في ذي القعدة سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٣ م ، وتعهده والده منذ صغره بالتربية الحسنة والرعاية والاهتمام ، واعتنى به عناية كبيرة ، فاصطحبه معه في رحلاته بين المدن والأمصار الإسلامية ، فنشأ نشأة علمية ^(١) . وورث عن أبيه حب العلم ، فاشتغل بالحديث والفقه والأدب « وحصل من كل فن » ، وانتهت إليه رئاسة الشافعية ببلده . وكان معظمًا محترمًا ^(٢) .

وصفه الحافظ الذهبي بـ « الشيخ الإمام العلامة المفتي المحدث »^(٣) وقال عنه : « وكان صدرًا معظمًا مكملاً ، بصيراً بالمشهد ، له أنسة بالحديث » ^(٤) . كما « كان فاضلاً جليلاً نبيلاً متديناً ، محباً لرواية العلم ، ذا أخلاق حسنة ، وسيرة جميلة » ^(٥) . وقد توفي إبان الغزو المغولي لبلاد خراسان ، في أواخر سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠ م ، وقيل في أول سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١ م ^(٦) .

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢٢ ، ص ١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢٢ ، ص ١٠٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢٢ ، ص ١٠٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢٢ ، ص ١٠٩ .

(٥) ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، تحقيق : د. قيصر أبو فرح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ص ١٥٧ .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢٢ ، ص ١٠٩ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، ج١ ، ص ٣٨٩ .

كان للإمام الحافظ " أبي سعد السمعاني " ابن آخر هو " أبو زيد محمد بن عبد الكريم السمعاني " ، وهو أصغر سنًا من أخيه عبد الرحيم . وُلد سنة ٥٥٤هـ / ١١٥٩م ^(١) ، وكان هو أيضاً ميّالاً إلى العلم ، وإن لم يكن بذات المستوى الذي كان عليه أخوه " عبد الرحيم " .

ويُفهم مما تشير إليه بعض الروايات التاريخية أن " أبا زيد السمعاني " كانت له منزلة حسنة عند سلاطين الدولة الخوارزمية ، والتي كان نفوذها قد أخذ في التنامي في بلاد المشرق الإسلامي في ذلك الحين ، فقد ذكرت هذه الروايات أنه « اختصَّ بخدمة السلطان محمد بن تكش الخوارزمي ^(٢) ، وتقدّم عنده » ^(٣) ، واختاره السلطان رسولاً إلى الخليفة العباسي في بغداد أكثر من مرة ^(٤) .

(١) الذهبي : المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله بن الديلمي ، (ذيل تاريخ بغداد) ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ج ١٥ ، ص ٤٣ .

(٢) هو " علاء الدين محمد بن تكش " الملقّب (خوارزم شاه) ، من سلاطين الدولة الخوارزمية في المشرق ، تولّى الحكم في سنة ٥٩٦هـ ، وفي أيامه ظهر المغول بقيادة " جنكيز خان " فحاول مواجهتهم ، ولكنه لم ينجح ، توفي سنة ٦١٧هـ ، انظر عنه : (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٥٧ ، ٣٧١-٣٧٢ ، النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق : حافظ أحمد حمدي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣م ، ص ٣٤ وما بعدها ، عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٣٢٩-٣٣٩ ، زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ص ٣١٧ ، سعد بن محمد الغامدي : أوضاع الدول الإسلامية في المشرق الإسلامي ، ص ١٦١ وما بعدها) .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١-٦٢٠هـ) ، ص ٣٤٩ .

(٤) المصدر نفسه ، حوادث ووفيات (٦١١-٦٢٠هـ) ، ص ٣٤٩ ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢٢ ، ص ١٠٩ .

ولم تذكر المصادر التاريخية شيئاً عن المهام التي بُعث من أجلها إلى دار الخلافة ، كما لم تكشف النقاب عن شخصية الخليفة . وأغلب الظن أن المعني به الخليفة " الناصر لدين الله " ، الذي حكم في الفترة الواقعة بين عامي (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ) ، يؤيد ذلك ما أشارت إليه بعض الروايات من أن " أبا زيد السمعاني " كان في " بغداد " في سنة ٦٠١ هـ ^(١) ، وما ذكره الحافظ أبو عبد الله بن الديلمي - المتوفى سنة ٦٣٧ هـ - من أنه رأى " أبا زيد " سنة ٦٠٢ هـ ^(٢) ، وذلك عندما أشار إلى قدومه بغداد . كما أن عهد الخليفة الناصر لدين الله هو الذي شهد اتصالات وعلاقات واضحة بين الخلافة العباسية والدولة الخوارزمية ^(٣) .

هذا ويمكن القول : إن " أبا زيد السمعاني " لم يحظَ بنفس المنزلة التي حظيَ بها أخوه عبد الرحيم ، ذلك أن " عبد الرحيم " اعتُبر آخر من برزَ من السمعانيين في بلاد المشرق الإسلامي ، لاسيما في ميدان العلم والأدب ، يدلّ على ذلك ما ذكرته بعض المصادر في ترجمتها له بقولها : « . . . وخُتم به البيت السمعاني » ^(٤) ، على الرغم من أن أخاه " أبا زيد " كان أصغر منه سنّاً .

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ - ٦٢٠ هـ) ، ص ٣٤٩ .

(٢) الذهبي : المختصر المحتاج إليه ، ج ١٥ ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٣) لمعرفة طبيعة العلاقات بين الخلافة العباسية والدولة الخوارزمية في ذلك العصر ، انظر : (النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٤٩ وما بعدها ، عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ، ص ٣٣١ - ٣٣٤ ، سعد بن محمد الغامدي : أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، ص ٨١ - ١٤٠) .

(٤) الإسنوي : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٤٢ ، ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٨٩ ، ابن العماد الخبلي : شذرات الذهب ، ج ٥ ، ص ٧٦ .

على أيّ حال ، لم يعد للسمعانيين في المشرق ذكرٌ واضح بعد نهاية العقد الثاني من القرن السابع الهجري ، ولا يُدرى هل نزحوا عن ذلك الإقليم إلى بلاد أخرى ، أم اضمحل شأنهم . وربما كان لظهور المغول على ساحة الأحداث في أوائل القرن السابع الهجري ، واندفاعهم من أواسط آسيا إلى بلاد المشرق الإسلامي ، وسقوط عدد من المدن الإسلامية في أيديهم في ذلك الحين ، ومن بينها مدينة " مرو " ^(١) موطن السمعانيين ، ربّما كان لذلك أثره الكبير في اضمحلال شأن هذه الأسرة العربية العريقة .

جهود السمعانيين في ميدان الرحلة في طلب العلم ولقاء العلماء :

تعدّ الرحلة في طلب العلم مطلباً رئيساً وأمرأً مهمّاً في حياة العلماء ، ولذا كان أكثرهم يجتهد في السفر إلى مختلف البلدان ، ويمضي سنين عديدة في التنقل والترحال بين المدن والأصا^(٢)ر ، يلتقي بالعلماء فيستلمذ عليهم ، ويلازمهم ، وينهل من علمهم ، ويتأسى بأخلاقهم .

(١) عن هجوم المغول على مدينة " مرو " ، انظر: (ابن الأثير: الكامل، ج١٢، ص٣٩١-٣٩٣) .

(٢) عن أهميّة الرحلة في طلب العلم وأثرها في حياة العلماء ، انظر: (الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، تحقيق: محمود الطحّان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ج٢ ، ص٢٢٣-٢٤٨ ، مريزن سعيد مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، الطبعة الأولى ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص٢٤٤-٢٤٩) .

وقد أدرك السمعانيون أهمية الرحلة في طلب العلم وضرورتها ، فبذلوا جهوداً كبيرة من أجلها ، وصار بعضهم فرساناً في ميدانها ، يُضرب به المثل في كثرة الترحال ولقاء العلماء ، وطوّف أكثرهم بلاداً وأقاليم عديدة ، وزار مدناً وقرى كثيرة ، وكان لجهودهم المميّزة في الرحلات أثرها الكبير في الحياة العلمية في المشرق الإسلامي ، فقد كانوا يلتقون في أثنائها بالعلماء فيُدارسونهم ويسمعون منهم ويروون عنهم .

ومن أوائل السمعانيين الذين اشتهروا بسعة رحلاتهم في طلب العلم ، الإمام " أبو المظفر السمعاني " ، فقد طوّف في العديد من البلدان ، فزار بعض مدن المشرق ، مثل " نيسابور " ^(١) و " قزوين " ^(٢) و " جرجان " ^(٣) وغيرها ^(٤) ، وسافر إلى العراق

(١) (نيسابور) : مدينة عظيمة من كبريات مدن خراسان ، فُتحت في عهد الخليفة " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه ، وقيل إنها فُتحت في عهد الخليفة " عثمان ابن عفان " رضي الله عنه ، سنة ٣١ هـ . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٣١) .

(٢) (قزوين) : مدينة قديمة ، تقع في إقليم الجبال ، على تخوم بلاد " الديلم " أسسها ملك الفرس " سابور ذو الأكتاف " ، وفتحها المسلمون في أوائل خلافة " عثمان بن عفان " رضي الله عنه ، وصارت ثغراً لهم على بلاد " الديلم " (الرافعي : التدوين في أخبار قزوين ، ج ١ ، ص ٣٣ ، ٤١ ، ٤٤ ، ياقوت : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٤٢-٣٤٣) ، وانظر عن موقع " قزوين " أيضاً : (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، الخارطة ٥) .

(٣) (جرجان) : مدينة مشهورة من مدن المشرق ، تقع في إقليم يُسمّى (جرجان) أيضاً ، بين إقليميّ " طبرستان " و " خراسان " ، بناها الوالي الأموي " يزيد ابن المهلب بن أبي صفرة " . (ياقوت : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١٩) .

(٤) (الرافعي : التدوين في أخبار قزوين ، ج ٤ ، ص ١١٩ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١-٤٩٠ هـ) ، ص ٣٢١-٣٢٢ ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٥) .

فدخل بغداد سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٩م ، وسمع الحديث الكثير بها ،
والتقى بعدد من علمائها^(١) ، وجرت بينه وبينهم مناظرات ومحاورات
علمية^(٢) . كما حجّ في سنة ٤٦٢هـ ، ولازم بعض العلماء في مكة
فأفاد منهم ، وكان أيضاً قد سمع من عدد من علماء بلده (مرؤ)^(٣) .

ومّا يُبرز اهتمام الإمام " أبي المظفر السمعاني " بلقاء العلماء
وحرصه على طلب العلم على أيديهم والإفادة منهم ، أنّه كان في
طريقه إلى الحجّ ذات سنة ، فكان كلّما دخل بلدة من البلاد التي مرّ
بها نزل على بعض علمائها ، وطلب الحديث عليهم ، حتّى بلغ
مكة^(٤) وهناك ظلّ ملازماً لشيخ الحرم " أبي القاسم الزنجاني " ^(٥) ،
حتّى صار محدّثاً^(٦) .

وحينما تحوّل من مذهب الإمام " أبي حنيفة " إلى مذهب الإمام
" الشافعي " ، واضطرب أتباعه في مدينة " مرؤ " ، واضطرّ إلى
المسير إلى " نيسابور " والبقاء فيها لفترة من الزمن ، حرص على أن

(١) ابن الجوزي : المتظم ، ج١٧ ، ص ٣٧ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٥ ، ص ٣٣٦ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص ١١٤-١١٥ ، ١١٨ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ، ص ٣٢٥ ،
سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٨ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ،
ج٥ ، ص ٣٣٨ .

(٥) الرافعي : التدوين في أخبار قزوين ، ج٤ ، ص ١١٨ .

(٦) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ، ص ٣٢٥ ،
سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٨ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ،
ج٥ ، ص ٣٣٨ .

يُفيد من علمائها خلال فترة وجوده بينهم ، فسمع من العديد منهم^(١) .
ولعلّ هذا يُعطي دلالةً أخرى على مدى اهتمامه بطلب العلم ، إذ إنّه
خرج مضطراً من مدينة " مرو " إلى " نيسابور " ، ومع هذا حرص
على استثمار مقامه في تلك المدينة ، فراح يلتقي بشيوخها وينهل من
علمهم .

وهكذا كان " أبو المظفر السمعاني " يتنقل من بلد إلى آخر ،
ومن إقليم إلى إقليم ، يلتقي بالعلماء ، فيتلمذ عليهم ، ويُدارسهم
ويُناظرهم ، يتحمّل من أجل ذلك وعناء السفر ، ومشاق الطريق ،
لا يثنيه عن ذلك ما كان يواجهه في رحلاته لطلب العلم من مواقف
حرجة ، أو متاعب قاسية .

ومن عجيب ما جرى له في أسفاره ، أنه حجّ ذات سنة مع نفر
من أصحابه ، فأسرهم بعض الأعراب في الطريق ، وجعلوا أبا المظفر
راعياً لإبلهم ، وحدث حينذاك أن كبير أولئك الأعراب أراد أن يزوّج
بنتاً له ، وعزم على الذهاب إلى الحاضرة ، كيما يجد شيخاً يعقد لهم
زواجهم ، فقال أحد أصحاب " أبي المظفر " : هذا الذي يرعى
جمالكم فقيه خراسان ، فسألوا أبا المظفر عن بعض الأمور ، فأجابهم ،
وكلمهم بالعربية ، فخجلوا منه ، واعتذروا إليه ، وعقد لهم عقد
الزواج ، فسروا بذلك ، وفكّوا أسرهم ، وسيّروه إلى مكة^(٢) .

(١) الصريفي : المنتخب من السياق ، ص ٤٤٣ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ، ص ٣٢٢ ،
سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٥ .

ولعلّ هذا الموقف العجيب الذي جرى لأبي المظفر السمعاني ،
يُبرز كيف كان لنبوغه العلمي أثره البالغ في علوّ مقامه والرفع من
شأنه ، ليس عند أرباب العلم فحسب ، بل وحتى عند الذين لا يفقهون
في العلم شيئاً ، فما أن أدرك أولئك الأعراب أنّ أسيرهم رجل علم ،
حتى تغيّر موقفهم منه بدرجة كبيرة ، فسَمَتْ منزلته عندهم ، وصار
محلّ تقديرهم وتبجيلهم .

وكان " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " مثل أبيه حريصاً
على الرحلة في طلب العلم ولقاء العلماء ، فقد تنقّل بين بلدان
عديدة ، وسمع من علمائها الكثير ، فرحل إلى بعض مدن المشرق
الإسلامي ، مثل " نيسابور " و " أصبهان " ^(١) و " همذان " ^(٢) ،
و " الري " ^(٣) ، وسافر إلى العراق ، فتتلمذ على بعض علماء
" بغداد " و " الكوفة " ، ورحل أيضاً إلى الحجاز ، فسمع من عدد

(١) (أصْبَهان) : مدينة مشهورة من كبريات مدن المشرق ، تقع في إقليم الجبال ،
وهي واسعة المساحة ، تتبعها آلاف من القرى ، فتحها المسلمون في خلافة " عمر
ابن الخطّاب " رضي الله عنه (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٠٦ -
٢٠٩) .

(٢) (هَمَذان) : مدينة قديمة في إقليم الجبال ، فتحها " المغيرة بن شعبه " سنة
٢٤ هـ ، امتدحها " ياقوت الحموي " ، فذكر أنها (من أحسن البلاد وأنزهها
وأطيبها) . (معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤١٠ - ٤١٢) .

(٣) (الريّ) : مدينة كبيرة من مدن المشرق الإسلامي ، وهي قصبة إقليم الجبال ،
وأكبر المدن فيه ، تبعد عن " نيسابور " مائة وستين فرسخاً (٤٨٠ ميلاً) ،
وعن " قزوین " سبعة وعشرين فرسخاً (٨١ ميلاً) . قُتحت في خلافة " عمر
ابن الخطّاب " رضي الله عنه (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١١٦ -
١١٨) .

من علماء " مكة " . وكان أيضاً قد تلقى العلم على العديد من شيوخ
بلّده (مرو) ^(١) .

وطلب " أبو محمد الحسن بن منصور السمعاني " ، العلم في
مدينتي " مرو " و " نيسابور " وغيرهما من بلدان المشرق الإسلامي ،
وتتلمذ على عدد من علماء عصره ^(٢) . وكان ابنه " أبو منصور محمد
ابن الحسن السمعاني " ينهج نهجه في حب العلم ، والسعي في طلبه ،
فقد تتلمذ أيضاً على عدد من علماء زمانه ، منهم عمّه أبو بكر
محمد بن منصور السمعاني " ^(٣) .

وللإمام " أبي القاسم أحمد بن منصور السمعاني " عنايةٌ بلقاء
العلماء والسماع منهم ، فقد طلب العلم في مدينة " مرو " - موطنه
وموطن آبائه وأجداده - وتتلمذ على عدد من علمائها ، كما ساه في
عدد من مدن المشرق الإسلامي لطلب العلم ، مثل " سَرْخَس " ^(٤)

(١) عن رحلات الإمام " أبي بكر السمعاني " في طلب العلم ، وشيوخه ، انظر:
(السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص٣٠ ، ابن الجوزي : المتظم ، ج١٧ ،
ص١٤٩-١٥٠ ، ابن عبد الهادي الدمشقي : طبقات علماء الحديث ، ج٤ ،
ص٣٩ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٠١ - ٥١٠ هـ) ،
ص٢٦٠ ، تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص١٢٦٧ ، سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ،
ص٣٧٢ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص٥ ، الداودي :
طبقات المفسرين ، ج٢ ، ص٢٥٩) .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص٣٠٠ ، التحبير في المعجم الكبير ، ج١ ،
ص٢١٦-٢١٨ .

(٣) السمعاني : التحبير ، ج٢ ، ص١١٢ .

(٤) (سَرْخَس) : مدينة قديمة في إقليم خراسان ، تقع في منتصف الطريق الذي
يصل بين مدينتي " مرو " و " نيسابور " . (ياقوت : معجم البلدان ، ج٣
ص٢٠٨) /.

و " نيسابور " و " طوس " ^(١) . وكان يصحبه في رحلاته وتنقلاته بين تلك المدن ابن أخيه الإمام الحافظ " أبوسعده السمعاني " ^(٢) .

وقام نجله " محمد بن أحمد بن منصور السمعاني " ، برحلتين إلى إقليم " خوارزم " ^(٣) ، المجاور لإقليم خراسان وما وراء النهر ^(٤) كما رحل إلى " بغداد " وعاش فيها سنوات عدة ، وبها توفي ^(٥) .

وسافر " أبو العلاء علي بن علي بن محمد بن عبد الجبار السمعاني " من بلاد " كرمان " - حيث كان يُقيم فيها مع أبيه - إلى مدينة " مرو " في إقليم خراسان ؛ ليتفقه على عمّه الإمام الحافظ " أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني " ، وأقام هناك فترة من الزمن ، ثم عاد إلى بلاد " كرمان " ^(٦) .

(١) طُوس : (مدينة في إقليم خراسان ، فتحها المسلمون في خلافة عثمان بن عفّان " رضي الله عنه ، تبعده عن مدينة " نيسابور " قرابة عشرة فراسخ (٣٠ ميلاً) ، وهي تشتمل على بلدين ، إحداهما تُسمّى (الطابران) ، والأخرى (نوقان) ، ويتبعهما أكثر من ألف قرية (ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٩) .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص٣٠١ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ، ص٦٥-٦٦ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٦ ، ص٨٧ .

(٤) (خوارزم) : إقليم من أقاليم المشرق ، مجاور لإقليم خراسان " و " ما وراء النهر " ، قصبتها تُسمّى (الجرجانية) زار " ياقوت الحموي " هذا الإقليم في سنة ٦١٦ هـ ، وأُتْب في الثناء عليه ، وذكر شدة برودته ، وتجمّد الأنهار فيه . (معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٩٥-٣٩٧) ، وانظر عن موقع " خوارزم " بالنسبة لإقليم خراسان " و " ما وراء النهر " : (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، الخارطة ١) .

(٥) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، ج١ ، ص٦٠-٦١ .

(٦) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص٢٩٨ .

كما كان لأبي المظفر عبد الوهاب بن محمد بن منصور السمعاني ،
الأخ الأكبر للإمام " أبي سعد السمعاني " بعض الرحلات العلمية ،
حيث ذكرت بعض الروايات أنه طلب العلم في مدينتي " نيسابور " ،
و " سَرَخس " ^(١) . ولم تُشر المصادر التاريخية إلى رحلات أخرى
له غيرها ، ولعل ذلك يُعزى إلى أنه لم يُعمّر طويلاً ، بل توفي وهو
في سن مبكرة ، كما ذكرنا في صفحة سابقة .

واشتهر الإمام " أبو سعد السمعاني " بكثرة أسفاره ، وسعة
رحلاته في طلب العلم ، ولقاء العلماء ، حيث أمضى شطراً طويلاً
من حياته في التنقل بين الأمصار الإسلامية ، فطوّف في عدد من مدن
خراسان ، كما رحل إلى بلاد ما وراء النهر ، والعراق ، والشام ،
والحجاز ، وزار عشرات المدن في هذه الأقاليم ، كما زار القدس
والخليل ، رغم أنهما كانتا حينذاك بأيدي الفرنج (الصليبيين) ^(٢) ،
وهو ما لم يَتيسّر لكثير من العلماء في ذلك الزمن .

لقد كان الإمام " أبو سعد " حريصاً على لقاء العلماء والحُفَظاء
وطلب العلم على أيديهم والإفادة منهم ، وربّما رحل إلى بلد من
البلاد ليسمع فيها حديثاً أو كتاباً واحداً ، ومن الأمثلة الدالة على ذلك
ما ذكره في كتابه « الأنساب » من أنه سار إلى مدينة " نيسابور "
ليسمع صحيح الإمام « مسلم » من بعض علمائها ، وكان يصحبه في

(١) السمعاني : التحرير في المعجم الكبير ، ج١ ، ص ٥٠٣-٥٠٤ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص ٤٥٧-٤٦٠ ، السبكي : طبقات
الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص ١٨١ .

سفره ذلك عمّه " أبو القاسم أحمد بن منصور السمعاني" ^(١) ،
 وكانا قد اتفقا على الرجوع إلى بلدهما " مرو " بعد سماع «الصحيح»
 فلما سمعاه عزم " أبو القاسم " على الرحيل ، فاختمى عنه ابن أخيه
 الإمام " أبو سعد " ؛ لأنه كان يرغب البقاء في " نيسابور " فترة
 أخرى ، ليواصل اللقاء بعلمائها والسماع منهم ، ولكن عمّه انتظره
 ولم يرحل عن المدينة ، فعادامعاً ، ولما بلغا مدينة " طوس " استأذن
 " أبو سعد " عمّه في الرجوع إلى " نيسابور " مرة أخرى ، فأذن له
 وتابع طريقه إلى " مرو " ، في حين عاد " أبو سعد " إلى " نيسابور " وأقام فيها عامًا كاملاً ^(٢) .

وقد أتيح للإمام " أبي سعد " أن يلتقي في أثناء رحلاته بعدد
 كبير من العلماء والشيوخ ، فسمع منهم « وجالسهم وروى عنهم ،
 واقتدى بأفعالهم الجميلة وآثارهم الحميدة » ^(٣) . وقُدّر عدد شيوخه
 بأكثر من أربعة آلاف شيخ ^(٤) ! . بل جاء في رواية أخرى أنهم
 يُقدّرون بسبعة آلاف ^(٥) !! .

(١) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٣٠١ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٣٠١ .

(٣) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، ج ١ ، ص ١٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣٣٣ ، اللباب ، ج ١ ،
 ص ١٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ ، أبو الفداء : المختصر
 في أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٤٤ ، ابن الوردي : تاريخه ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص ١٢١ ،
 تذكرة الحفاظ ، ج ٤ ، ص ١٣١٦ ، الإسنوي : طبقات الشافعية ، ج ١ ،
 ص ٣٣٧ ، ابن قاضي شهاب : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٤٤ ، السيوطي :
 طبقات الحفاظ ، ص ٤٧٣ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ،
 ص ٢٠٥ .

والحق أن هذا العدد الكبير من العلماء والشيخوخ الذين تتلمذ عليهم " أبو سعد السمعاني " يستوقف النظر ، ويدعو للتساؤل : إذ كيف تيسر له أن يلتقي بكل هؤلاء ، وأن يسمع منهم ويروي عنهم ؟ .

حقاً إنَّ " أبا سعد السمعاني " كان رجلاً كثير التنقل والترحال ، ولكن هذا العدد الكبير من الشيخوخ يظلُّ مُثيراً للتأمل ، وداعياً للتعجب .

إنَّ مما يُفسر كثرة شيوخ الإمام السمعاني ، أنه اعتبر كلَّ مَنْ أسمعته شيئاً من العلم قليلاً كان أم كثيراً ، شيخاً له ، سواءً كان مَنْ حدثه عالماً أو متعلماً ، صغيراً أو كبيراً ، وآية ذلك أنه عندما ترجم لشيخوخه في كتابه « التحبير في المعجم الكبير » ذكر من بينهم أخاه " أبا المظفر عبد الوهاب بن محمد بن منصور السمعاني " على الرغم من أنه لم يسمع منه . كما ذكر - إلا قليلاً من الشعر ^(١) ، كما أنَّ " أبا المظفر " توفي وهو في الثانية عشرة من عمره ، حيث كان مولده في سنة ٥٠٥ هـ ، ووفاته في سنة ٥١٧ هـ ^(٢) ، فلم يبلغ مبلغ الشيخوخ الذين يُعتدُّ بهم ، ولم يدخل في عداد مَنْ يمكن وصفهم بالعلماء .

وقد أشار " ابن الأثير " إلى أنَّ فئةً من شيوخ " السمعاني " لم يرو عنهم إلا القليل من مسائل العلم ، ولذا بلغ شيخوخه هذا العدد الكبير . . يقول في هذا الصدد : « وكان عدّة شيوخه يزيد على أربعة آلاف شيخ ، روى عن كلِّ منهم إمّا قليلاً وإمّا كثيراً » ^(٣) .

(١) التحبير في المعجم الكبير ، ج١ ، ص ٥٠٣-٥٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٥٠٤ .

(٣) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، ج١ ، ص ١٤ .

ولم يكن الإمام " أبو سعد السمعاني " مقتصرًا على لقاء العلماء في المدن الرئيسية فحسب ، بل كان يلتقي بهم في القرى والبلدان الصغيرة أيضًا ، وقد ذكر بعض المؤرخين أسماء العديد من القرى التي رحل إليها ^(١) ، ولعلّ هذا أحد الأسباب التي تُفسّر كثرة شيوخه ، وكيف أنهم بلغوا بضعة آلاف . كما أنّه لم يكتف بطلب العلم على الرجال فحسب ، بل كان من شيوخه بعض النساء ، ومنهنّ فاطمة بنت علي بن زَعْبَل النيسابورية ، المتوفّاة سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧ م ، وهي عالمة محدّثة ^(٢) ، و " شهدة بنت أحمد الأبري " ، المتوفّاة سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٨ م ^(٣) ، وهي واعظة محدّثة من أهل بغداد ^(٤) .

على أيّ حال ، تتفق المصادر التاريخية على أنّ الإمام " أبا سعد السمعاني " تتلمذ على عدد كبير من العلماء في العديد من المدن والبلدان الإسلامية . . وقد ترجم " السمعاني " في كتابه « التحبير في المعجم الكبير » لـ (١١٩٣) عالم من العلماء والشيوخ الذين سمع منهم وروى عنهم ^(٥) ، كما ساق العديد من المصادر أسماء كثير منهم ^(٦) .

(١) انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٤٥٧-٤٥٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١٩ ، ص ٦٢٥-٦٢٦ .

(٣) انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٥٤٢ ، مريزن سعيد مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، ص ٢١٦-٢١٧ .

(٤) انظر ترجمتها في (الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٥٤٢-٥٤٣) .

(٥) انظر : السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ، مقدّمة التحقيق ، ص ١٣ .

(٦) انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٤٥٧-٤٥٩ .

وقد سمع من أولئك العلماء في مدن وبلدان عديدة ، مثل :
نيسابور ، وبلخ ^(١) ، وهراة ^(٢) ، وسرخس ، وطوس ، وبخارى ^(٣)
وسمرقند ^(٤) ، وهمذان ، وأصبهان ، والري ، وجرجان ، ومكة ،
والمدينة ، وبغداد ، والكوفة ، والبصرة ، والمدائن ، وواسط ،
والموصل ، ودمشق ، وحلب ، وحماة ، وغيرها ^(٥) .

وقد حرص الإمام " أبو سعد السمعاني " على أن يصطحب معه
في بعض رحلاته بين المدن والأصْار الإسلامية ابنه " عبد الرحيم " ،
وأن يُحبِّب إليه العلم ، ويُرغِّبه في الرحلة من أجله ، ولذا نشأ نشأة
علمية ، وسمع عدداً من أمّهات كتب السنة وغيرها ^(٦) .

(١) (بلخ) : مدينة مشهورة في إقليم خراسان ، تبعد عن نهر " جيحون " مسافة
عشرة فراسخ (٣٠ ميلاً) ، افتتحها المسلمون في خلافة " عثمان بن عفان " ،
رضي الله عنه ، على يد " الأحنف بن قيس " . (ياقوت : معجم البلدان ،
ج ١ ، ص ٤٧٩ - ٤٨٠) .

(٢) (هراة) : مدينة مشهورة من كبريات مدن خراسان ، امتدحها " ياقوت
الحموي " - وكان قد زارها في سنة ٦٠٧ هـ - وذكر ما اشتهرت به من البساتين
الكثيرة والبياء الغزيرة والخيرات الواسعة خرج منها عدد كبير من العلماء
(معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٩٦) .

(٣) (بخارى) : أشهر مدينة في بلاد ما وراء النهر ، بينها وبين مدينة " سمرقند "
مسافة سبعة وثلاثين فرسخاً (١١١ ميلاً) ، فتحها القائد الشهير " قتيبة بن مسلم
الباهلي " سنة ٨٧ هـ . (ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٥٣ ، ٣٥٥) .

(٤) (سَمَرْقَنْد) : مدينة قديمة مشهورة ، وقصبة إقليم " الصُغْد " في بلاد ما
وراء النهر ، تُعد ثاني مدن تلك البلاد من حيث الشهرة بعد مدينة " بخارى " ،
فتحها القائد " قتيبة بن مسلم " بعد فتحه " بخارى " سنة ٨٧ هـ . (ياقوت :
معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٨) .

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٤٦٠ وعن رحلات الإمام " أبي
سعد السمعاني " في طلب العلم ، انظر أيضاً : (ابن الأثير : الكامل في
التاريخ ، ج ١١ ، ص ٣٣٣ ، الباب في تهذيب الأنساب ، ج ١ ، ص ١٥ ،
الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص ١٢٠) .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٢ ، ص ١٠٧ .

ويبدو أنّ " عبد الرحيم السمعاني " سار على نهج أبيه في الحرص على الإكثار من ثَقْيَا الشيوخ والعلماء ، ومجالستهم ، والاستماع إليهم ، والرواية عنهم ، فقد سمع من عدد كبير منهم في مدن " بخارى " و " سمرقند " و " هراة " و " نيسابور " و " مرو " ، و " بغداد " و " بلخ " وغيرها ^(١) . ولذا لم يكن غريباً أن يصبح أحد المبرزين من السمعانيين ، وأن يغدو من مشاهير العلماء في إقليم خراسان بخاصة ، وفي بلاد المشرق الإسلامي بعامّة خلال تلك العصور .

ومع أنّ شقيقه " أبازيد محمد بن عبد الكريم السمعاني " كان أقلّ منه شأنًا في الميدان العلمي ، إلّا أنّه طلب العلم على بعض أئمّة عصره ، ومنهم والده الحافظ " أبو سعد السمعاني " ، ومحمد بن عبد الرحمن الحمدوني ، وغيرهما ، كما أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أنّه قام ببعض الرحلات إلى مدينة " بغداد " ^(٢) . ومع أنّه قدم إليها رسولاً من قبل السلطان الخوارزمي إلى الخليفة العباسي - كما ذكرنا من قبل - إلّا أنّ بعض رحلاته إليها كانت علميّة أيضاً ، فقد ذكرت الروايات أنّه حدّث ببغداد ووعظ الناس فيها ^(٣) .

(١) انظر عن شيوخ الإمام " أبي المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني " ورحلاته في طلب العلم: (الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (٦١١-٦٢٠ هـ)، ص ٣٤٨-٣٤٩، سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص ١٠٨، ابن الدماطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص ١٥٧).

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (٦١١-٦٢٠ هـ)، ص ٣٤٩، سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص ١٠٩، المختصر المحتاج إليه، ج ١٥، ص ٤٢.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات (٦١١-٦٢٠ هـ)، ص ٣٤٩، ٣٧٥، المختصر المحتاج إليه، ص ٤٢.

جهودهم في العناية بالعلوم الشرعية :

تميّز معظم السمعانيين بحبّ العلم والسعي في طلبه وتحصيله ، وبذل جلّهم أكثر سنيّ حياته من أجله ، وكان من نتائج ذلك تبخّره في مختلف العلوم ونبوغهم فيها ، وفي مقدّمتها العلوم الشرعية . .

فقد كان " أبو منصور محمد بن عبد الجبار السمعاني " - وهو أوّل من اشتهر من السمعانيين في المشرق - من كبار علماء مدينة " مرو " في ذلك العصر ، ومن مشاهير فقهاءها . . وصّفه معاصره " أبو الحسن الباخري " بـ « إمام مرو وحبرها الرباني » ^(١) ، كما وصفه حفيده العلامة " أبو سعد السمعاني " في كتابه « الأنساب » بـ « القاضي الإمام » ^(٢) . . وكان بارعاً في مذهب الإمام أبي حنيفة ، وفقهياً بارزاً من فقهاء ذلك المذهب في زمنه ، يدلّ على ذلك ما وصفه به " السبكي " من أنه كان من « أئمة الحنيفة » ^(٣) .

وكان " العلامة " أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني " ذاع باع طويل في ميدان العلوم الشرعية . . قال أحد العلماء يصف تبخّره في الفقه : « لو كان الفقه ثوباً طاوياً ، لكان أبو المظفر السمعاني طرازه » ^(٤) وكان قبل تحوّلِهِ إلى المذهب الشافعي بارعاً في مذهب الإمام

(١) الباخري : دمية القصر وعصرة أهل العصر ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٣٦ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٤٢ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .

" أبي حنيفة " ^(١) ، يُعدّ من أعيان فقهاء هذا المذهب وأئمتهم ^(٢) .
ولما تحوّل إلى مذهب الإمام " الشافعي " نبغ فيه أيضاً وصار علماً من
أعلامه ، ولذا أطلق عليه بعض المؤرخين لقب « شيخ الشافعية » ^(٣) .

وإلى جانب نبوغه في الفقه ، فقد كان " أبو المظفر " أيضاً عالماً
بالحديث النبوي الشريف ، سمعه في صغره وكبره ، وجمع منه
« الأحاديث الألف الحسان من مسموعاته ، عن مائة شيخ له ، عن كلّ
شيخ عشرة أحاديث » ^(٤) . كما كان عالماً بالتفسير وأصول الفقه
والخلاف ، وآية ذلك أنّه صنّف في هذه العلوم عدداً من الكتب .

ومّا يُعطي دلالةً بيّنةً على علوّ مقامه وتبحّره في العلوم الشرعية ،
وما كان له من أثر في الحياة العلمية في زمنه ، أنّ بعض علماء عصره
شبّهه بالإمام " الشافعي " رحمه الله ، حيث وصفه بقوله : « أبو
المظفر بن السمعاني شافعيٌّ وقته » ^(٥) . كما لُقّب باللقاب عديدة تدلّ
أيضاً على علوّ منزلته وعظيم أثره في ميدان العلوم الشرعية مثل :
« مفتي خراسان » ، و « فقيه خراسان » ، و « شيخ الشافعية » ^(٦) ونحوها .

(١) ابن الجوزي : المتنظم ، ج ١٧ ، ص ٣٧ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث
ووفيات (٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ، ص ٣٢١ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ،
ج ٥ ، ص ٣٣٦ ، القرشي : الجواهر المضئية ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ ، ابن قاضي
شبهة : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٢٨١ ، ابن تغري بردي : النجوم
الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥٨ .

(٢) ابن الأثير : اللباب ، ج ١ ، ص ١٣ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٤ .

(٤) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٢٩٩ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٤٢ .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٤ - ١١٥ .

وكان " أبو القاسم علي بن محمد بن عبد الجبار السمعاني " عالماً^(١) ، بارعاً في الفقه ، لاسيما في مذهب الإمام أبي حنيفة^(٢) . كما كان ابنه " أبو العلاء علي بن علي بن محمد بن عبد الجبار السمعاني " من أهل العلم أيضاً ، فقد رحل من إقليم " كرمان " - حيث كان والده مقيماً - إلى إقليم خراسان ، وأقام فيه فترة من الزمن لطلب العلم ، حيث درس الفقه ، وسمع الحديث^(٣) . وكان هو أيضاً بارعاً في المذهب الحنفي^(٤) ، مثلما كان أبوه وجده .

وكان " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " فقيهاً إماماً محدثاً حافظاً^(٥) . وقد أجمع الكثير من العلماء على نبوغه وتميزه في العلوم الشرعية ، وجهوده في العناية بها ، قال " ابن الجوزي : " « كان علامة في الحديث والفقه »^(٦) ، وقال الإمام " الذهبي : " « كان بارعاً في الحديث ومعرفته ، والفقه ودقائقه »^(٧) ، وأشاد به " السبكي " وذكر أنه أطلع على مجالس إملائه ، واستدلّ منها على

(١) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص٢٩٨ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٥ ، ص٣٣٦ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص٢٩٨ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٥ ، ص٣٣٦ .

(٥) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، ج١ ، ص١٣ ، الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج٤ ، ص١٢٦٨ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص٥ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، ج١ ، ص٣٠٢-٣٠٣ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٤ ، ص٢٩ .

(٦) المنتظم ، ج١٧ ، ص١٥٠ .

(٧) العبر في خبر من غير ، ج٢ ، ص٣٩٦ .

علوّ شأنه في الفقه والحديث ^(١) ، وامتدحه " ابن كثير " وأشار إلى طول باعه في علم الحديث ، فقال: « وكانت له معرفة تامة بالحديث » ^(٢) .

وأثنى الحافظ " أبو طاهر السلفي " على الإمام " أبي بكر السمعاني " ، وأشار إلى طول باعه في العلوم الشرعية ، حينما قال :
هو المُرْزِيُّ إِبَّانُ الفتاوى وفي علم الحديث الترمذي ^(٣)

فشبهه بنو غه في ميدان الفتاوى بالإمام " أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المُرْزِي " ، المتوفى سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٨ م ، وهو عالم مجتهد كبير ، من تلاميذ الإمام الشافعي ، ومن أنصار مذهبه ^(٤) . كما شَبَّهه في معرفته بالحديث النبوي الشريف بالإمام " الترمذي " ، المحدث المشهور ، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م ^(٥) .

وقد بلغ في المذهب أقصى مراميه ، وزاد على أقرانه وأهل عصره بالتبحر في علم الحديث ، ومعرفة الرجال والأسانيد ، وما يتعلق به

(١) طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ٧ .

(٢) البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٩٢ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ٩ .

(٤) انظر ترجمة الإمام " أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المُرْزِي " في : (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢١٧-٢١٩ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٢ ، ص ٤٩٢-٤٩٧ ، الزركلي : الأعلام ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ج ١ ، ص ٣٢٩) .

(٥) انظر ترجمة " الترمذي " في : (ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٨ ، الزركلي : الأعلام ، ج ٦ ، ص ٣٢٢) .

من الجرح والتعديل ، وحفظ المتن^(١) . . . ومّا يدلّ على تبخّره في الحديث وعلومه أنّه كان يروي في مجالس وعظه الأحاديث بأسانيدھا^(٢) ، وقد حدث في أحد مجالسه أن اعترض عليه أحد الحاضرين ، قائلاً : « محمد السمعاني يصعد المنبر ، ويعدّ الأسامي ، ونحن لا نعرف ، ولعلّه يضعها في الحال »- ويعني بذلك أسامي الرواة التي يسردها في أسانيده حفظاً- وكُتب هذا الكلام في رقعة ، وأعطيت له ، بعد أن صعد المنبر ، فلمّا نظر فيها روى حديث « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ » بأكثر من تسعين طريقاً ، ثمّ قال : إن لم يكن في هذا البلد أحدٌ يعرف الحديث ، فنعود بالله من المقام فيها ، وإن كان هناك من له علمٌ به فليكتب عشرة أحاديث بأسانيدھا ، ويترك اسمًا أو اسمين من كلّ إسناد ، ويخلط الأسانيد بعضها ببعض ، فإن لم أميّز بينها ، وأضع كلّ اسم منها مكانه ، فهو كما يدّعيه ، ففعلوا ذلك امتحاناً ، فردّ كلّ اسم إلى موضعه^(٣) ! .

(١) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، ص ٢٨٤ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ٦ ، الإسنوي : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٢٣ ، ابن قاضي شہبة : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٠٣ ، الداوودي : طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٩ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ٣٧٢-٣٧٣ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ٧ ، الداوودي : طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٦٠-٢٦١ .

وكان شقيقه " أبو محمد الحسن بن منصور السمعاني " ذاباع في العلوم الشرعية أيضاً ، فقد طلب الفقه ، وسمع الحديث من عدد من علماء عصره ^(١) ، كما كان شقيقهما الأصغر " أبو القاسم أحمد بن منصور السمعاني " من المهتمين بالعلوم الشرعية ، فقد تفقه على أخيه الأكبر " أبي بكر السمعاني " ^(٢) ، وسمع منه الحديث ^(٣) ، كما سافر إلى مدينة " نيسابور " في شهر شوال سنة ٥٢٩هـ / ١١٣٥م ، لدراسة الحديث النبوي الشريف ، حيث سمع هناك صحيح الإمام " مسلم " ^(٤) .

ول " محمد بن أحمد بن منصور السمعاني " معرفة بالحديث ، وجهود في روايته لأهل العلم ، فقد ذكر " السبكي " في « طبقاته » أنه « كان يروي الأحاديث مسندة عن أبيه » ^(٥) . كما كان لـ " أبي المظفر عبد الوهاب بن محمد بن منصور السمعاني " ، اهتمام بطلب الحديث ، رغم صغر سنّه ، فقد ذكر شقيقه الإمام " أبو سعد السمعاني " أنه سمع الحديث بنيسابور ، وشرّخه ^(٦) .

(١) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص٣٠٠ ، السبكي : المصدر السابق ، ج٧ ، ص٦٩ .

(٢) السمعاني : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٣٠١ ، السبكي : المصدر السابق ، ج٦ ، ص٦٥ .

(٣) السبكي : المصدر السابق ، ج٦ ، ص٦٥ .

(٤) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص٣٠١ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٦ ، ص٨٧ .

(٦) السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ، ج١ ، ص٥٠٣-٥٠٤ .

وَمَنْ عُنِيَ بِالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ السَّمْعَانِيِّينَ أَيْضًا ، " أمة الله حرة بنت محمد بن منصور السمعاني " - شقيقة الإمام " أبي سعد السمعاني " - فقد ذكر " أبو سعد " في « أنسابه » أنها « كثيرة الدرس للقرآن » ، وأشار إلى أنها مَن حَدَّثَ من آل بيته ، وأنه قرأ عليها بعض الأحاديث ^(١) .

وكان الحافظ " أبو سعد السمعاني " إمامًا عالمًا ، فقيهاً محدثاً ^(٢) وقد أقبل على دراسة القرآن والفقه والحديث منذ بلوغه ^(٣) ، واجتهد في طلب علم الحديث كثيراً ، وكانت جُلَّ رحلاته العلمية من أجله ، ولذا أُتيح له أن يسمع الكثير منه في أثناء رحلاته ولقاءاته بالعلماء ، وقد أشار " ابن الأثير " إلى ذلك حينما قال - مُشيداً به - : « وكان مكثراً من سماع الحديث ، سافر في طلبه ، وسمع منه ما لم يسمعه غيره » ^(٤) .

ونظراً لتبحره في العلوم الشرعية وفي غيرها ، وإفادته لأهل العلم في زمانه ، فقد اشتهر عند العلماء بالقباب كثيرة منها : « محدث المشرق » ^(٥) ، و « محدث خراسان » ^(٦) ، و « سيّد

(١) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٣٠١ .

(٢) الإسنوي : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٣٧ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٥٨ .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص ١٢٠ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ١٨١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ، ص ٣٣٣ .

(٥) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج ٣ ، ص ٣٧ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ١٨٠ .

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٤٥٦ .

الحَفَاط «^(١)» ، و «شيخ خراسان»^(٢) ، و «تاج الإسلام» ، و
«الحافظ الكبير»^(٣) ، و «الإمام الشهير»^(٤) . وغيرها .

وكان " فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم
السمعاني " ، حريصاً منذ صغره على طلب العلوم الشرعية ، فقد
سمع عدداً من أمّهات كتب السنة وغيرها ، مثل: « صحيح البخاري »
و « صحيح مسلم » و « سنن أبي داود » و « سنن النسائي » و « مسند
أبي عوانة » و « مسند الهيثم » و « حلية الأولياء » وغيرها^(٥) .

وقد نبغ في الحديث النبوي الشريف ، ووصفه الحافظ " الذهبي "
بـ « الإمام العلامة المفتي المحدث »^(٦) ، كما وصفه بـ « مسند
خراسان »^(٧) ، ونظراً لشهرته بمعرفة الحديث وعلومه ، فقد حدث
ببعض البلدان البعيدة - نسبياً - عن بلدته ، حيث ذكرت بعض الروايات
أنّه حجّ في سنة ٥٧٥ هـ - وقيل ٥٧٦ هـ - وفي طريقه حدث ببغداد ، ثمّ
رجع إلى موطنه^(٨) . كما تبخّر في الفقه ، وأضحى له في المذهب

-
- (١) المصدر نفسه ، ج ١٩ ، ص ٣٧٢ .
 - (٢) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، ج ١ ، ص ١٥ .
 - (٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص ١١٩ ، ابن
قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٤٤ .
 - (٤) ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٤ .
 - (٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٢ ، ص ١٠٧ .
 - (٦) المصدر نفسه ، ج ٢٢ ، ص ١٠٧ .
 - (٧) الذهبي : العبر في خبر من غير ، ج ٣ ، ص ١٧٤ .
 - (٨) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ - ٦٢٠ هـ) ، ص ٣٤٩ ،
سير أعلام النبلاء ، ج ٢٢ ، ص ١٠٨ ، ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ
بغداد ، ص ١٥٧ .

الشافعي باعٌ طويلٌ ، شأنه في ذلك شأن عدد من آبائه وأجداده ^(١) .

وكان شقيقه " أبو زيد محمد بن عبد الكريم السمعاني " فقيهاً ، له معرفةٌ بالحديث النبوي الشريف ^(٢) ، ولكنه لم يبلغ ما بلغه أسلافه من السمعانيين من نبوغ في العلوم الشرعية ، أو في العلوم الأخرى ، ولعلّ ارتباطه بالعمل في بلاط الخوارزميين - كما أشرنا من قبل - قد شغله - نسيّاً - عن الاهتمام بطلب العلم .

وهكذا كان لمعظم السمعانيين جهودٌ مميّزةٌ في العناية بالعلوم الشرعية كالفقه وأصوله والحديث والتفسير ، وغيرها ، وقد حظي الفقه والحديث بنصيب الأسد من جهودهم ، وتبوّأ مكانةً عاليةً بين اهتماماتهم العلمية ، وهو أمرٌ طبيعيٌّ ، فقد كانا من أكثر العلوم انتشاراً بين أئمة الدراسات الشرعية وطلّابها ، ليس في ذلك العصر فحسب ، بل في سائر العصور الإسلامية .

جهودهم في العناية باللغة والأدب :

وللسمعانيين جهودٌ مهمّةٌ في العناية باللغة العربية والأدب والشعر ، وكانت ثلّةٌ منهم على قدرٍ كبير من التبحّر في هذه العلوم ، ويجيء في مقدّماتهم الإمام " أبو منصور محمد بن عبد الجبار السمعاني " ، فقد ذكر عددٌ من المؤرخين أنّه كان عالماً بالعربية واللغة ، وصنّف فيها

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٢٢ ، ص ١٠٧ ، ابن قاضي شهبية : طبقات الشافعية ، ج١ ، ص ٣٨٩ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ - ٦٢٠ هـ) ، ص ٣٧٥ .

التصانيف المفيدة^(١) . كما كان له باعٌ في الأدب والشعر ، وقد ترجم له " أبو الحسن الباخريزي " في كتابه « دُمِيَّة القَصْر وعُصْرَة أهل العصر »^(٢) ، وهو الكتاب الذي خصّصه لتراجم شعراء عصره ، وأطنب في الثناء عليه ، وساق بعضاً من أشعاره ، وذكر أنّه التقى به في مدينة " مرو " في سنة ٤٤٤ هـ ، في مجلس كان يضمّ جمعاً كبيراً من علماء المدينة وأعيانها ، وفي ذلك المجلس ألقى " الباخريزي " قصيدةً نالت إعجاب الإمام " أبي منصور السمعاني " حتى إنّه « صفّق بيديه » ، وامتدح " الباخريزي " أمام الملائنة وشعراً^(٣) .

وكان " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " علامة في اللغة والنحو ، وقد عدّه " أبو الحسن القفطي " من أعلام النحاة ، حيث ترجم له في كتابه « إنباه الرواة على أنباه النحاة » ، وذكر أنه كان معتنياً باللغة^(٤) . وتما يدلّ على تبحّره في ميدان اللغة والنحو ، ما قاله الخافظ " أبو طاهر السلفي " في مدحه :

وفي النحو الخليلُ بلا خلاف وفي حفظ اللغات الأصمعي^(٥)

(١) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٢٩٨ ، ابن الأثير : اللباب ، ج٢ ، ص ١٣٨ ، القرشي : الجواهر المضية ، ج٣ ، ص ٢٠٦ ، ابن قُطْلُوْبُغا : تاج التراجم ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ٣٤٠ .

(٢) الباخريزي : دُمِيَّة القصر ، ج٢ ، ص ١٦٢-١٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٦٢-١٦٤ .

(٤) القفطي : إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ج٣ ، ص ٢١٦-٢١٧ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص ٩ .

فشبّه بمعرفته بعلم النحو بـ" الخليل بن أحمد الفراهيدي " ،
أحد كبار أئمة اللغة والنحو في البصرة ، والمتوفى سنة ١٧٠هـ/
٧٨٦م^(١) ، كما شبّه بالعلامة " أبي سعيد الأصمعي " في حفظ
اللغة ، وهو أيضاً من مشاهير علماء اللغة والأدب ، توفي سنة
٢١٦هـ/ ٨٣١م^(٢) .

وأشار " السبكي " إلى نبوغ الإمام " أبي بكر السمعاني " في
اللغة ، حيث ذكر أنه اطلع على مجالس إملائه ، واستدلّ منها على
علوّ شأنه في عدد من العلوم ومن بينها اللغة^(٣) .

وتما يدلّ أيضاً على معرفته الواسعة باللغة ما ذكرته بعض الروايات
من أنّ والده الإمام " أبا المظفر السمعاني " كان إذا سُئل عن شيء
يتعلّق ببعض مسائلها قال: « سَلُوا ابني محمّداً ، فإنه أعرِف باللغة
منّي »^(٤) ، مع أنّه حينذاك لمّا يزل في سنٍّ مبكّرة ، لأنّه وكّد في سنة
٤٦٦هـ ، أو في سنة ٤٦٧هـ. كما ذكرنا من قبل - ووالده توفي سنة
٤٨٩هـ ، أي أنّه لمّا توفي أبوه لم يكن قد بلغ الثالثة والعشرين من
عمره .

(١) انظر ترجمة " الخليل بن أحمد الفراهيدي " في: (ابن خلّكان: وفيات
الأعيان ، ج٢ ، ص٢٤٤-٢٤٨) .

(٢) انظر ترجمة " الأصمعي " في: (ابن خلّكان: المصدر السابق ، ج٣ ،
ص١٧٠-١٧٦) .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٨ .

وكان " أبو بكر السمعاني " أيضاً بارعاً في الأدب وفنونه ^(١) ،
فقد أشارت بعض الروايات إلى أنه حظي من الأدب والعربية ، وبرع
فيهما حتى بلغ أعلى المراتب ^(٢) . وكان « ينظم من معاني كلامه
عقود الدرّ ، متصرفاً في الفنون بما يشاء ، كيف يشاء » ^(٣) .

كما كان شاعراً ، له قصائد كثيرة ^(٤) ، في مختلف فنون الشعر
وأغراضه ، وقد أثنى بعض العلماء على شعره ، فوصفه " ابن الأثير
" بقوله : « وله شعرٌ حسنٌ » ^(٥) . ومدحه الحافظ " أبو طاهر
السُّلّفي " بقوله :

وجاحظ عصره في النثر صدقاً وفي وقت التشاعر بُحتري ^(٦)

-
- (١) الذهبي : العبر في خبر من غير ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ ، تذكرة الحفاظ ، ج ٤ ،
ص ١٢٦٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٥ ، ص ٧٥ ، ابن العماد الحنبلي :
شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٩ .
- (٢) ابن الصلاح : طبقات الفقهاء الشافعية ، ج ١ ، ص ٢٧٤-٢٧٥ ، السبكي :
طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ٦ ، ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية ،
ج ١ ، ص ٣٠٣ ، الداودي : طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ، ابن العماد
الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٩ .
- (٣) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، ص ٢٨٤ .
- (٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٧ ، ص ١٥٠ ، السبكي : طبقات الشافعية
الكبرى ، ج ٧ ، ص ٨ ، ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية ، ج ١ ،
ص ٣٠٣ .
- (٥) اللباب في تهذيب الأنساب ، ج ١ ، ص ١٣ .
- (٦) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ٩ .

فشبّه بالعلامة الشهير " عمرو بن بحر الجاحظ " ، المتوفى سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٩ م ^(١) ، والمعروف بعلوّ كعبه في ميدان الأدب والنثر ، وطول باعه في الفصاحة والبيان ، كما شبّهه في شاعريته بالشاعر العباسي المشهور " البحتري " ، المتوفى سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٨ م ^(٢) .

ولكن كثيراً من أشعاره التي قالها في مراحل مختلفة من حياته لم تُحفظ ، بل إنه أزال مادونه منها قبل وفاته ، ولم يبق منه إلا اليسير ^(٣) ، وما حفظه الناس عنه ، وما كانوا يردّدونه على ألسنتهم ^(٤) ويبدو أنه صنع ذلك تورّعاً ، أو أنّ في أشعاره أموراً وأقوالاً رجع عنها ويحكى أن رجلاً كتب إليه رقعة وفيها أبيات من الشعر ، وأراد جوابها ، فردّ عليه " أبو بكر السمعاني " بقوله : « أمّا الأبيات فقد أسلم شيطانٌ شعري ، فلا جواب لها » ^(٥) ! .

ومن شعره قوله :

أقلي النهار إذا أضاء صباحه وأظلل أنتظر الظلام الدامسا

(١) انظر ترجمة " الجاحظ " في: (ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٤٧٠-٤٧٥) .

(٢) انظر ترجمة " البحتري " في: (ابن خلكان: المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٢١-٣١) .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٧ ، ص ١٥٠ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ٧ ، ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٠٣ ، الداودي : طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٦١ .

(٤) الإسنوي : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٢٣ ، ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٠٣ ، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ٨ ، الداودي : طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٦١ .

فالصبح يشمتُ بي فيقبل ضاحكاً والليل يرثي لي فيدبر عابسا^(١)

وله أشعارٌ أخرى كثيرة ، ذكر " السبكي " طرفاً منها في «طبقاته»^(٢) .

ولم يكن " أبو بكر السمعاني " هو الأوحد الذي ينظم الشعر من بين السمعانيين ، بل كان من أبناء أسرته من هو شاعرٌ أيضاً ، ومنهم أخوه " أبو القاسم أحمد بن منصور السمعاني " ، فقد ذكر الإمام " أبو سعد السمعاني " أنه كان « شاعراً حسن الشعر »^(٣) . كما كان ابنه " محمد بن أحمد بن منصور السمعاني " يقول الشعر أيضاً ، وقد ساق " السبكي " في «طبقاته» بعضاً من أشعاره في الغزل^(٤) .

وكان " أبو منصور محمد بن الحسن بن منصور السمعاني " عالماً باللغة والنظم والنثر^(٥) . كما كان أديباً شاعراً ، ينظم الشعر باللغتين العربية والفارسية^(٦) . قال عنه ابن عمّه الحافظ " أبو سعد السمعاني : " . . . كان شاباً فاضلاً ظريفاً ، قرأ الأدب وبرع فيه ، وكانت له يدٌ باسطةٌ في الشعر باللسانين » ، وذكر أنه سمع من شعره الكثير^(٧) . وأثنى على شعره بكلمتي اللغتين ، فذكر أنه كان « حسن الشعر باللسانين العربية والعجمية »^(٨) .

(١) السبكي : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٨ ، الداوردي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٦١ .

(٢) السبكي : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٨ - ١٠ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٣٠١ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٦ ، ص ٨٧ .

(٥) السمعاني : التحبير ، ج٢ ، ص ١١٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١١٢ .

(٧) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٣٠١ .

(٨) السمعاني : التحبير ، ج٢ ، ص ١١٢ .

ولأبي المظفر عبد الوهاب بن محمد بن منصور السمعاني - الأخ الأكبر للإمام أبي سعد السمعاني - اهتمامٌ بالأدب وعنايةٌ به ^(١) ، وقد ذكر شقيقه " أبو سعد " أنه سمع منه شيئاً يسيراً من الشعر ^(٢) .

كما كان الإمام " أبو سعد السمعاني " أيضاً أديباً محباً للشعر متذوقاً له . . وقد ذكرت بعض الروايات أنه عُني بالاشتغال بالأدب في أيام الطلب « حتى حصل منه طرفاً صالحاً » ^(٣) ، كما أشارت روايات أخرى إلى أنه كان يُكثر إنشاد الشعر ^(٤) في مجالسه ، وقد أورد في مصنفاته آلاً من الأبيات ، أفاد منها بعض العلماء والأدباء في عصره وفي العصور اللاحقة ، ولا سيّما في كتابيه « الأنساب » ، و « التحجير » .

وكان ابنه الأكبر " أبو المظفر عبد الرحيم السمعاني " من المهتمين بالأدب ، فقد ذكرت بعض الروايات أن والده الإمام " أبا سعد " وجهه لدراسته وطلبه ، إلى جانب طلبه للعلوم الشرعية ، وقد نال من الأدب حظاً وافراً ، مثلما حظي من الفقه والحديث ^(٥) .

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٠٣-٥٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٠٤ .

(٣) ابن الدماطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ص ١٧٢ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١-٥٧٠ هـ) ، ص ١٢١ ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ، ص ٤٦٢ ، الإسنوي : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٣٧ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٢١٢ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٢ ، ص ١٠٧ .

وهكذا عني السمعانيون باللغة العربية وآدابها ، وحافظوا على أمجادها ، رغم أنهم عاشوا في بيئة وزمن هبّت فيهما رياح لغة أخرى ، ألا وهي اللغة الفارسيّة ، ذلك أن إقليم خراسان شهد في عصر السلاجقة - وهو العصر الذي اشتهر فيه السمعانيون - إحياء اللغة الفارسيّة من جديد ، بل وسرعة نموّها وانتشارها في أقاليم أخرى عديدة من بلاد المشرق الإسلامي ، بتشجيع من زعماء السلاجقة .

لقد كانت العربية هي اللغة السائدة في بلاد المشرق الإسلامي قبل عهد السلاجقة ، ولكنّ الفارسيّة أضحت اللغة الرسمية في المناطق التي خضعت لنفوذهم ، ومن ثمّ قاد ذلك إلى انتشارها لتغدو - إلى جانب اللغة العربية - لغةً للآداب والعلوم ، سيّما وأنّها حظيت بتشجيع سلاطين السلاجقة ودعمهم ^(١) .

ومع أن بعض السمعانيّ كان يُتقن اللغة الفارسيّة ، مثل " أبي منصور محمد بن الحسن السمعاني " الذي كان ينظم الشعر باللغتين العربية والفارسية ^(٢) ، و " محمد بن أحمد بن منصور السمعاني " الذي أشارت بعض الروايات إلى أنّه خطب على المنبر في بلاد " خوارزم " بالفارسية ^(٣) ، ومع ما شهده عصرهم من إحياء لتلك اللغة في بلاد المشرق الإسلامي - كما ذكرنا - مع ذلك كلّ لم يكن للغة الفارسيّة أيّ أثر على أوجه النشاط العلمي للسمعانيّين ، بل كان جُلّهم

(١) انظر : أحمد كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) السمعاني : التحرير ، ج ٢ ، ص ١١٢ .

(٣) انظر : السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٦ ، ص ٨٧ .

يُدْرَس وينظر وَيَعْظ وَيُفْتِي وَيُحَدِّث وَيُصَنَّف باللغة العربية فحسب ، ولم يُذكر أن أحداً من كبارهم ، كالإمام " أبي المظفر منصور السمعاني " ، أو الإمام " أبي بكر السمعاني " ، أو الحافظ " أبي سعد السمعاني " ، أو العلامة " عبد الرحيم السمعاني " ، كان له نشاطٌ علميٌّ بلغةٍ أخرى . .

جهودهم في العناية بالتاريخ والتراجم والأنساب والجغرافيا :

وإلى جانب تلك الجهود الكبيرة التي بذلها السمعانيون في العناية بالعلوم الشرعية واللغة والأدب ، كانت لهم أيضاً جهودٌ مميّزةٌ أخرى في العناية بعلوم التاريخ والتراجم والأنساب والجغرافيا . . فقد كان " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " بارعاً في معرفة الرجال ، محيطاً بالتواريخ ^(١) ، ومما يدلّ على اهتمامه بعلم التاريخ ما ذكرته بعض الروايات من أنّه لما رحل في طلب العلم إلى بغداد في سنة ٤٩٧ هـ ، قرأ « تاريخ بغداد » ، للخطيب البغدادي ، على أحد علمائها الذين رَووه عن " الخطيب " نفسه ، وهو " أبو محمد بن الآبنوسي " ^(٢) .

(١) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، ص ٢٨٤ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٠١ - ٥١٠ هـ) ، ص ٢٦٠ ، تذكرة الحفاظ ، ج ٤ ، ص ١٢٦٨ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٥ ، ص ٧٥ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص ٤٦٠ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٩ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٠١ - ٥١٠ هـ) ، ص ٢٦٠ ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ٣٧٢ .

وفضلاً عن معرفته واهتمامه بالتاريخ والتراجم ، فقد كانت لـ " أبي بكر السمعاني " أيضاً عنايةٌ بعلم الأنساب ، حيث أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أن الأنساب من بين العلوم التي كان محيطاً بها ^(١) .

وكان الإمام " أبو سعد السمعاني " مؤرخاً عارفاً بتراجم الرجال ، ومما يدل على عنايته بالتاريخ أنه صنّف فيه أكثر من كتاب ، فقد أرخ لمدينته وموطن آبائه وأجداده « مرو » في كتاب سمّاه « تاريخ مرو » ، كما ذيل على « تاريخ بغداد » ، للخطيب البغدادي ^(٢) ، هذا فضلاً عن اهتمامه بحوادث التاريخ بصفة عامّة ، ويتجلى ذلك من خلال ما دوّنه في بعض آثاره العلمية القيّمة ، ولاسيّما في كتابيه « الأنساب » و« التحبير » ، فقد ذكر فيهما روايات تاريخية كثيرة ، تُبرز مدى تبحّره في علم التاريخ ، كما أورد فيهما تراجم آلاف من العلماء والأعيان .

كما كان الإمام " أبو سعد السمعاني " علامة في الأنساب ، عارفاً بأصول القبائل وبطونها ، ومن يُنسب إليها من العلماء والأعيان ، ويقف كتابه « الأنساب » برهاناً واضحاً على تبحّره في هذا الميدان ، وقد أضحى " السمعاني " مرجعاً لعلماء عصره ولمن جاء بعدهم من العلماء في ميدان الأنساب ، وصارت أقواله وآراؤه وترجيحاته حجةً يستشهدون بها عند الخوض في هذا الجانب .

(١) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، ص ٢٨٤ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٠١ - ٥١٠ هـ) ، ص ٢٦٠ ، تذكرة الحفاظ ، ج ٤ ، ص ١٢٦٨ ، العبر في خبر من غبر ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٥ ، ص ٧٥ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص ٤٦٠ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٩ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٢١٠ .

وكان لبعض السمعانيين - ولا سيّما الإمام " أبو سعد السمعاني " وابنه " أبو المظفر عبد الرحيم " - عنايةٌ بعلم الجغرافيا واهتمامٌ به . . . لقد كان " أبو سعد " حجةً في معرفة البلدان والمواقع الجغرافية ، ويتجلّى ذلك من خلال النظر في كتابه « الأنساب » ، فقد ذكر في ثنياه آلافاً من المدن والقرى ، وحدّد مواضعها ، وصارت أقواله مرجعاً للعديد من البلدانّين والمهتمّين بجغرافية البلاد الإسلامية ، وكان في مقدّمتهم العلامة " ياقوت الحموي " الذي عوّل في مصنّفه العظيم « معجم البلدان » على الكثير من أقوال " أبي سعد السمعاني " ، وأفاد منه في التعريف بالبلدان وتحديد أماكنها ، في كثير من المواضع في كتابه ^(١) .

ومّا لا شكّ فيه أنّ رحلات الإمام " أبي سعد السمعاني " الواسعة لطلب العلم ، ومروره بالكثير من المدن والقرى ، قد أسهم إلى حدٍّ بعيد في تبخّره في الميدان الجغرافي ومعرفته بالكثير من المواضع ، ولا سيّما في منطقة المشرق الإسلامي ، حيث كان يكثر التنقّل بين بلدانها ، ويجوب سائر أنحائها ، ويختلف إلى كثير من مدنها وقراها ، ولذا نلاحظ أنّ أكثر المواقع البلدانية التي اعتمد " ياقوت " على " السمعاني " في تبليانها تقع ضمن الإطار الجغرافي لمنطقة المشرق الإسلامي .

(١) انظر - على سبيل المثال - : ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٦٩ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ٢٠٦ ، ج ٢ ، ص ٢٦ ، ٢٧ ، ١٦٦ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٥٧ ، ٢٧٨ ، ٣٣٨ ، ج ٣ ، ص ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٩٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٣٠٥ ، ج ٤ ، ص ١٢ ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٥٠ ، ٢٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٦٨ ، ٣٧٠ ، ج ٥ ، ص ٣٤ ، ٤١ ، ٥٠ ، ٧٨ ، ٢٣٣ ، ٢٩٥ ، ٣١١ ، ٤٢٠ .

وقد أشاد بعض المستشرقين بجهود الإمام " أبي سعد السمعاني " وأثره في ميدان الأدب الجغرافي العربي ، وما تحويه آثاره العلمية - وبخاصة كتابه « الأنساب » - من قيمة جغرافية ، ومن هؤلاء المستشرقين " بارتولد " ، الذي ذكر أن « كتاب السمعاني يمثل أهمية كبرى بالنسبة لجغرافيا العالم الإسلامي في العصور الوسيطة »^(١) ، و " كراتشكوفسكي " الذي أشار أيضاً إلى القيمة الكبرى للمعلومات الجغرافية التي أوردها " السمعاني " في كتابه ، وما تميّزه من ضبط للمواضع الجغرافية والتعريف بها تعريفاً دقيقاً ، وأكد أن كتاب « الأنساب » سيبقى مُحْتَفَظاً على الدوام بقيمته فيما يتعلق بالمسائل التاريخية والجغرافية المرتبطة ببلاد ما وراء النهر^(٢) .

وورث " أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني " عن أبيه الإمام " أبي سعد " بعضاً من اهتماماته وعنايته بالجغرافيا ، وثمة شواهد مهمة تُبرز ذلك ، بل وتدللّ على أن " عبد الرحيم السمعاني " أسهم في إفادة بعض علماء عصره في الميدان الجغرافي ، فقد أشار العلامة " ابن العديم " صاحب كتاب « بُغْيَةُ الطَّلَب فِي تَارِيخِ حَلَب » ، المتوفى سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م ، في مواضع عديدة من كتابه إلى أن " أبا المظفر عبد الرحيم السمعاني " أفاده بمعلومات جغرافية تتعلق ببعض

(١) بارتولد : تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ترجمه من الروسية إلى العربية ، صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م / ص ١٠٤ .

(٢) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ص ٣٤٣-٣٤٥ .

مدن الشام وما حولها ، وقد ذكر الإمام " عبد الرحيم السمعاني " لابن العديم ، أن معلوماته الجغرافية تلك رواها عن أبيه الحافظ " أبي سعد السمعاني " ^(١) .

جهودهم في ميدان التعليم :

وللسمعانيين جهودٌ بيّنةٌ في ميدان التعليم ، ولا غرؤ فقد كان أكثرهم من أهل العلم ، والعلم والتعليم صنوان لا ينفكان عن بعضهما . وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أن عدداً منهم تصدر للتدريس في المساجد والمدارس ، وتلمذ عليهم عددٌ كبيرٌ من طلاب العلم ، وبخاصّة في مدينة " مرو " ، حاضرة إقليم خراسان . وكانت لهم جهودٌ مهمّة في رواية العلم ونشره بين الناس ، وقد أتاح هذا الأمر المجال لكثير من العلماء المعاصرين لهم لكي يرووا عنهم ويفيدوا من علمهم . .

ولعلّ أوّل مَنْ تصدر للتدريس من السمعانيين ، هو الإمام " أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني " ، فقد كانت له دروسٌ علميّةٌ ، أملى فيها « المجالس في الحديث » ، وتكلّم على كلّ حديث بكلام مفيد ^(٢) ، وبلغت مجالس إملائه تسعين مجلساً ^(٣) .

(١) انظر : ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق د . سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ج ١ ، ص ١٠٦ ، ١١٥ ، ٢٥٢ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٢٩٩ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٧ .

ولم تقتصر جهوده في ميدان التعليم على التدريس في المساجد فقط ، بل كان يقوم بالتدريس في بعض المدارس أيضاً ، حيث تذكر بعض الروايات أنه تولى التدريس في مدرسة الشافعية بمدينة " مرو " ^(١) .

ونظراً لما كان يحظى به الإمام " أبو المظفر السمعاني " من شهرة بين علماء عصره ، ولنبوغه في كثير من العلوم ، وبخاصة الفقه والحديث ، فقد انتشرت عنه رواية العلم ، وكثر أصحابه وتلامذته ، وشاع ذكره ^(٢) ، وروى عنه عددٌ من العلماء ^(٣) .

ولم يكن اهتمامه بالتعليم وإفادة الناس محصوراً في موطنه مدينة " مرو " فقط ، بل شمل بلاداً أخرى في المشرق ، فقد ذكرت بعض الروايات أنه سار إلى مدينة " نيسابور " في إحدى السنوات ، وحضر مجلس المناظرة ، وتحدث في بعض مسائل العلم ، بحضور بعض العلماء ، فقال إعجابهم ، وحظي بشنائهم ^(٤) . وفي سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٩ م زار مدينة بغداد ، وجرت بينه وبين جمع من علمائها مناظرات ومحاورات في بعض الأمور العلمية ، أجاد في الكلام ^(٥) .

(١) الرافعي : التدوين في أخبار قزوين ، ج ٤ ، ص ١١٩ ، الصريفي : المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ، ص ٤٤٣ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٦ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٤٤ ، ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٢٨١ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٢٩٩ .

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ص ٣٢٢ ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٥ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٣٦ .

(٤) الصريفي : المنتخب من السياق ، ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٣٦ .

وكان للعلامة " أبي بكر محمد بن منصور السمعاني " جهودٌ قيّمةٌ في ميدان التعليم ، فقد درّس في بعض مساجد " مرو " ، وكانت تدور بينه وبين بعض طلاب العلم الذين كانوا يحضرون دروسه ومجالس علمه محاوراتٌ في بعض المسائل العلمية^(١) . ومن الطبيعي أن تكون لهذه المحاورات آثارها الإيجابية ، إذ إنّها تُسهم - بلا شك - في إثراء الدروس العلمية ، وتُكسبها المزيد من العمق والفائدة .

وفي أثناء دروسه التي كان يُلقِيها في جامع مدينة " مرو " أُملى على طلابه « مائة وأربعين مجلساً »^(٢) ، قال عنها الحافظ " أبو سعد السمعاني : " مَنْ طالعها عرف أنّ أحداً لم يسبقه إلى مثلها »^(٣) ، واطّلع " ابن الجوزي " على بعضها وأثنى عليها^(٤) ، كما امتدحها المؤرّخ " ابن الأثير " ووصفها بأنّها « كثيرة الفوائد »^(٥) ، وذكر الإمام " النووي " أنّها تقع « في مجلّدتين ثلاث تكلم فيها على إسناد الحديث تبيناً لما يستحقّه من وصف الصحة وغيره وعلى رواته بيان أحوالهم ، وما يُستحسن من حكاياتهم ، وعلى متن الحديث ببيان فقهه ، كثير الرواية لما يشهد من الآثار والأخبار »^(٦) .

(١) انظر : السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص ٧ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٧ ، ص ١٥٠ ، ابن عبد الهادي الدمشقي : طبقات علماء الحديث ، ج ٤ ، ص ٤٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ٣٧٢ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص ٤٥٩ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٣٠٠ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٧ ، ص ١٥٠ .

(٥) ابن الأثير : اللباب ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

(٦) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، ص ٢٨٢ .

وهكذا كان " أبو بكر السمعاني " حريصاً على نشر العلم ، وإفادة الناس ، وقف أوقاته وآيامه من أجل ذلك ، مستغنياً بالكفاف ، زاهداً في الدنيا ، « قاصراً همّه وآيامه على الإفادة ، ونشر العلم »^(١) وقد تلقى العلم على يديه عددٌ من العلماء ، منهم شقيقه الأصغر " أبو القاسم أحمد بن منصور السمعاني " ^(٢) ، والعلامة الحافظ " أبو طاهر السلفي " ^(٣) . الذي امتدحه بأبياتٍ من الشعر ، وشبّهه بعدد من جهابذة العلم والأدب ، كما سبق .

ولأبي محمد الحسن بن منصور السمعاني جهودٌ في ميدان التعليم وكان طلابه يقرأون عليه أمّهات الكتب ، ومنهم ابن أخيه الحافظ " أبو سعد السمعاني " ، فقد ذكر أنّه سمع منه الكثير ، وقرأ عليه كتاب « الجامع » لمعمر بن راشد ، وكتاب « التاريخ » لأحمد بن سيّار ، وكتب « الأمالي » و « الانتصار » و « الأحاديث الألف » ، لجده " أبي المظفر السمعاني " ، وغيرها من المصنّفات ^(٤) .

وتصدّر الإمام " أبو سعد السمعاني " للتدريس في المدرسة " العميدية " في مدينة " مرو " ^(٥) ، وهي مدرسة شيّدها " محمد بن منصور النسوي " ، المتوفى سنة ٤٩٤ هـ / ١١٠١ م ، والمعروف بـ « عميد

(١) المصدر نفسه ، ج٧ ، ص٧ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص٣٠١ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٦ ، ص٦٥ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص٢٧٣ .

(٤) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص٣٠٠ - ٣٠١ .

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص١٢١ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص١٨٢ .

خراسان» ^(١) . ويُفهم من رواية ذكرها الإمام "الذهبي" أن "أبا سعد السمعاني" تفرغ للتدريس بعد ما انتهت رحلاته في طلب العلم واستقرّ في مدينته التي نشأ فيها وترعرع (مدينة مرو) ^(٢) .

ولم تقتصر جهود الحافظ "أبي سعد" في ميدان التعليم وإفادة الناس ونشر العلم بينهم ، على مدينة مرو "فحسب" ، بل شملت بلاداً أخرى أيضاً ، فقد أشارت بعض الروايات إلى أنه حدث في العديد من المدن ، ومنها "بلخ" و "هراة" ^(٣) . وسمع منه وروى عنه كثير من علماء عصره ، وممن سمع منه بعض مشايخه وأقرانه ، كما حدث عنه جماعة من علماء خراسان وبغداد ، وغيرهم ^(٤) .

وفي إقليم "كرمان" كان "أبو القاسم علي بن محمد بن عبد الجبار السمعاني" يتولّى التدريس في بعض مدارسها ، وكان ابنه أبو العلاء علي بن علي السمعاني "قد رحل من إقليم "كرمان" إلى مدينة "مرو" في خراسان ؛ لطلب العلم فيها ، ثم عاد إلى "كرمان" ، وبعد وفاة والده قام مقامه في التدريس في تلك البلاد ^(٥) .

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٧ ، ص ٧٢ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص ١٢١ .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٥٨ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص ١٢١ .

(٥) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

وكان " أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني " « محباً لرواية العلم » ^(١) ونشره بين الناس . روى الكثير ، ورحل طلاب العلم إليه ^(٢) . وقد روى عدداً من أمهات الكتب ، مثل : « صحيح البخاري » ، و « مسند الحافظ أبي عوانة » ، و « سنن أبي داود » ، و « مسند الهيثم بن كليب » ، وغيرها ^(٣) . وكان حريصاً على نشر العلم ليس في بلده فحسب ، بل وفي بعض البلدان الأخرى ، فقد ذكرت بعض الروايات أنه حدث في مدينة " بغداد " ، وسمع منه عددٌ من العلماء ^(٤) .

وتتلمذ على العلامة " أبي المظفر عبد الرحيم السمعاني " عددٌ من طلاب العلم ، وسمع منه غير واحد من العلماء والحفاظ الذين يُشار إليهم بالبنان ، ومنهم الحافظ " ابن النجّار البغدادي " - المتوفى سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م - والذي أشار إلى أنه التقى به في مدينة " مرو " في أولى رحلاته إلى إقليم خراسان ، وسمع منه الكثير ، وأثنى على علمه وخلقه ^(٥) ، وتتلمذ عليه من العلماء المشاهير أيضاً ، الحافظ " البرزالي " ، والعلامة " ضياء الدين المقدسي " ، والإمام " تقي "

(١) ابن الدميّاطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ص ١٥٧ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٢ ، ص ١٠٨ .

(٣) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج ٣ ، ص ١٧٤ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ - ٦٢٠ هـ) ، ص ٣٤٩ ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢٢ ، ص ١٠٨ ، ابن الدميّاطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ص ١٥٧ .

(٥) ابن الدميّاطي : المصدر السابق ، ص ١٥٧ .

الدين ابن الصلاح " ، وغيرهم ^(١) .

وتما يدلّ على سعة جهود الإمام " عبد الرحيم السمعاني " في رواية العلم ، وإسهامه في نشره ، ما ذكره الحافظ " الذهبي " - عند إشارته لوفاته - من أنّه « انقطع بموته شيء كثير من المرويات » ^(٢) .

وكان لأخيه " أبي زيد محمد بن عبد الكريم السمعاني " بعض الجهود في نشر العلم ، وإفادة الناس ، فقد أشارت بعض الروايات إلى أنّه قدم بغداد في سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م ، وحدّث بها ^(٣) .

ولم تقتصر جهود السمعانيين في ميدان التعليم وإفادة الناس - ولا سيّما في المساجد - على الدروس والإملاء فقط ، بل كانت تشمل على الوعظ والتذكير أيضاً ، وكان من الطبيعي أن يتخلّل مجالس الوعظ والتذكير ، كثير من الاستشهادات ، من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأخبار والأشعار وغيرها ، ممّا يسهم في إفادة الدارسين ، ويُنمي مداركهم العلمية والفكرية . .

وقد اشتهر عددٌ من السمعانيين بطول باعهم في الوعظ والتذكير ، فقد ذكرت بعض الروايات أنّ الإمام " أبا منصور محمد بن عبد الجبار السمعاني " كان بارعاً في ميدان الوعظ ، مؤثراً في السامعين . وقد

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ - ٦٢٠ هـ) ، ص ٣٤٩ ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ، ص ١٠٨ ، ابن قاضي شهاب : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٨٨ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ - ٦٢٠ هـ) ، ص ٣٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ، حوادث ووفيات (٦١١ - ٦٢٠ هـ) ، ص ٣٤٩ - ٣٧٥ .

ذكر معاصره " أبو الحسن الباخريزي " ^(١) أنه حضر يوماً مجلسه على حين غفلة منه ، وهو يعظ الناس بألفاظ مؤثرة وأقوال بليغة ، وكان مع هذا جمّ التواضع ، فإنه لما علم بعد انتهاء موعظته بوجود " الباخريزي " في مجلسه ، طلب إليه أن يُنبّهه إلى ما قد يكون جرى على لسانه من سهو أو خطأ ^(٢) .

وكان الإمام " أبو المظفر السمعاني " فارساً لا يُشقّ له غبار في مجالس الوعظ والتذكير ، وتبصير الناس تعاليم الإسلام ، وقد أثنى عددٌ من العلماء على مجالس وعظه وأثره في هذا الميدان . . قال حفيده " أبو سعد السمعاني : " « وكانت مجالس وعظه كثيرة الفوائد » ^(٣) ، وامتدحه " ابن خلكان " فقال : « وله وعظٌ مشهورٌ بالجودة » ^(٤) ، وقال " الذهبي : " كان « بحرًا في الوعظ ، حافظًا لكثير من الروايات » ^(٥) .

وحيثما تحوّل من مذهب الإمام " أبي حنيفة " إلى مذهب الإمام " الشافعي " واضطرب أتباعه من الحنفية ، خرج من " مرو " إلى " نيسابور " ، فاستقبل فيها استقبالاً عظيماً ، وعُقد له مجلس التذكير

(١) دمية القصر ، ج٢ ، ص ١٦٤-١٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٦٥ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٢٩٩ .

(٤) وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ٢١١ .

(٥) تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١-٤٩٠ هـ) ، ص ٣٢٣ ، سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص ١١٦ .

في تلك المدينة ^(١) ، لشهرته وتميّزه في هذا الميدان ، « وكان بحرّاً فيه ، حافظاً لكثير من الحكايات والأشعار ، فظهر له القبول من الخاصّ والعام » ^(٢) . ولما عاد إلى مدينة " مرو " عُقد له مجلس التذكير في مدرسة الشافعية ^(٣) .

واشتهر العلامة " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " بعلو شأنه في الوعظ والتذكير ^(٤) ، وكان يعظ الناس بجامع " مرو " ^(٥) ، كما كان يقوم بالوعظ في بعض المدن التي رحل إليها ، فحينما قدم إلى بغداد في بعض سنيّ حياته أقام مدّة يعظ بالمدرسة النظاميّة فيها ^(٦) . وقد أشاد العلماء بمجالس وعظه وتذكيره وتأثيرها في قلوب الناس ، وذكروا أنّه حينما يتصدّر للتذكير « تتصدّع صمّ الصخور عند

(١) الصريفيّني : المنتخب من السياق ، ص ٤٤٣ ، الرافعي : التدوين في أخبار قزوين ، ج ٤ ، ص ١١٩ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ، ص ٣٢٣ ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٦ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٤٤ ، ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية ج ١ ، ص ٢٨١ .

(٢) الصريفيّني : المنتخب من السياق ، ص ٤٤٣ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٤٤ .

(٣) الصريفيّني : المنتخب من السياق ، ص ٤٤٣ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٤٤ .

(٤) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، ص ٢٨٤ ، الذهبي : العبر في خبر من غبر ج ٢ ، ص ٣٩٦ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ٥ ، ٦ .

(٥) السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص ٤٥٩ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٧ ، ص ١٥٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٢١٠ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ٣٧٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٩٢ .

تحذيره ، وتتجمع أشتات العظام النَّخْرَة عند تبشيريه « ^(١) .

وكان أخوه الأصغر " أبو القاسم أحمد بن منصور السمعاني " ،
واعظاً أيضاً ، وقد أثنى عليه ابن أخيه الحافظ " أبو سعد السمعاني "
في هذا المضممار ، فذكر أنه كان « مليح الوعظ » ^(٢) .

وللإمام " أبي سعد السمعاني " باعٌ طويلٌ في ميدان الوعظ
والتذكير ، فقد وصفه بعض المؤرخين بـ « الفقيه الشافعي الحافظ
الواعظ » ^(٣) ، وأشار الإمام " الذهبي " إلى أنه بعد أن طوّف في
كثير من البلاد ، وألقى عصى الترحال ، واستقرّ في مدينته ومدينة آبائه
وأجداده " مرو " ، تفرّغ للتصنيف والوعظ والتدريس ^(٤) .

وكان " محمد بن أحمد بن منصور السمعاني " واعظاً ، قدم إلى
بيغداد ، وأقام فيها مدةً من الزمن يعظ الناس ^(٥) ، وقد عُرف بـ « بلطافة
البيان ، وفصاحة اللسان ، [وكان] عديم النظير في التذكير » ^(٦) .
كما كان خطيباً فصيحاً بليغاً . قال في إحدى خطبه يعظ الناس « احفظ
أيمانك حفظ العمامة على رأسك ، لاتكن العمامة أعزّ عليك من
أيمانك » ^(٧) .

(١) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، ص ٢٨٤ ، السبكي : طبقات الشافعية
الكبرى ، ج ٧ ، ص ٦ ، الداوودي : طبقات المفسرين ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٣٠١ .

(٣) ابن الأثير : اللباب ، ج ١ ، ص ١٥ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص ١٢١ .

(٥) المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، ج ١ ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٦) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٦ ، ص ٨٧ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٨٧ .

ولعل آخر مَنْ اشتهر في ميدان الوعظ ومجالس التذكير من السمعانيين هو " أبو زيد محمد بن عبد الكريم السمعاني " ، الابن الأصغر للإمام " أبي سعد السمعاني " ، ولم تكن مجالس وعظه مقتصرة على موطنه فحسب ، بل كان يعظ في بعض المدن الأخرى التي رحل إليها ، فحينما قدم إلى بغداد في سنة ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م ، وعظ بها ، وروى في مجلس وعظه أحاديث من حفظه ^(١) .

جهودهم في إنشاء خزائن الكتب :

كانت مدينة " مرو " في إقليم خراسان مركزاً مهماً من مراكز العلوم في بلاد المشرق الإسلامي ، وكانت تحتوي على عدد من خزائن الكتب الكبيرة ، بلغت في مطلع القرن السابع الهجري - وفقاً لما يذكره " ياقوت الحموي " - عشر خزائن ^(٢) . ويعود الفضل في إنشاء خزينتين من هذه الخزائن التي كانت تحوي آلافاً من المجلدات ، إلى السمعانيين . .

وقد رأى " ياقوت الحموي " خزائن " مرو " تلك وأفاد منها كثيراً ، وبيّن أنها كانت مسخرة لطلاب العلم ، وأنه كان يستعير منها مجلدات كثيرة ، وأشار إلى أن كثيراً من المعلومات التي دونها في كتابه « معجم البلدان » إنما استفادها من الكتب التي اطلع عليها في تلك الخزائن ، ومن بينها خزانة السمعانيين . . يقول في هذا الصدد:

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٦١١ - ٦٢٠ هـ) ، ص ٣٤٩ ، ٣٧٥ .

(٢) معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١١٤ .

« وفيها (أي مدينة مرو) عشر خزائن للوقوف لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجوده ، منها خزانتان في الجامع ، إحداهما يُقال لها العزيزية والأخرى يُقال لها الكمالية وبها خزانة شرف المُلْك المستوفي وخزانة نظام المُلْك الحسن بن إسحاق في مدرسته ، وخزانتان للسمعانيين ، وخزانة أخرى في المدرسة العميدية ، وخزانة لمجد المُلْك ، أحد الوزراء المتأخرين بها ، والخزائن الخاتونية . . . والضميرية . . . وكانت سهلة التناول ، لا يُفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثر بغير رهن فكنتُ أرتعُ فيها ، وأقتبس من فوائدها ، وأنساني حبّها كل بلد ، وألهاني عن الأهل والولد . » ^(١) .

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن " ياقوت " لم يكن العالم الأوحد الذي أفاد من خزائن " مرو " ، بل إن كثيراً من العلماء غيره أفادوا منها أيضاً ، الأمر الذي يُبرز الدور المهم الذي أسهمت به تلك الخزائن - ومن بينها خزانة السمعانيين - في ميدان الحياة العلمية في بلاد المشرق الإسلامي في تلك العهود التاريخية .

ولا نغف في المصادر التاريخية على معلومات تُحدّد تاريخ إنشاء خزيتيّ السمعانيين ، أو تكشف النقاب عمّن أنشأها منهم ، كما لا نغف على روايات تُهدي إلى معرفة مصير تلك الخزائن العلمية العظيمة الموجودة في مدينة " مرو " ، وماذا كان من أمرها بعد أيام السمعانيين . وأغلب الظن أن محتويات تلك الخزائن من الكنوز العلمية - ومن بينها خزانة السمعانيين - قد ضاعت أو احترقت إبان الغزو المغولي لإقليم خراسان .

(١) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ١١٤ .

جهودهم في ميدان التصنيف :

ومن الميادين العظيمة التي كان للسمعانيين جهودٌ بارزةٌ فيها ، ميدان التصنيف والإنتاج العلمي ، فقد ألّف بعضهم كُتُبًا كثيرةً شملت عددًا من العلوم ، كالفقه ، وأصوله ، والحديث ، والتفسير ، واللغة ، والتاريخ ، والأنساب ، وغيرها . .

ومن أوائل السمعانيّ الذين صنّفوا في بعض العلوم ، الإمام " أبو منصور محمد بن عبد الجبار السمعاني " ، فقد أشارت بعض الروايات إلى أنّه صنّف في اللغة العربية بعضًا من الكتب المفيدة^(١) . غير أنّ المصادر التاريخية لم تفصح عن أسماء مصنّفاته تلك ، ولا عن عددها ، كما لم تذكر شيئًا عن مضامينها .

وألّف الإمام " أبو المظفر السمعاني " عددًا من الكتب ، في الفقه والأصول والحديث والتفسير^(٢) وغيرها من العلوم . وقد أثنى الحافظ " أبو سعد السمعاني " على مصنّفات جدّه " أبي المظفر " ، فذكر «أنّ من طالع تصانيفه وأنصف ، عرف محلّه من العلم»^(٣) . ووفقًا لما يذكره " السبكي " فقد كانت جميع مصنّفات الإمام " أبي المظفر

(١) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٢٩٨ ، ابن الأثير : اللباب ، ج٢ ، ص ١٣٨ ، القرشي : الجواهر المضيّة ، ج٣ ، ص ٢٠٦ ، ابن قُطُوبُغا : تاج التراجم ، ص ٣٤٠ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٢٩٩ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١ - ٤٩٠ هـ) ، ص ٣٢٤ ، ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعيّة ، ج١ ، ص ٢٨١ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٢٩٩ .

السمعاني " على مذهب الإمام الشافعي ، وهو المذهب الذي تحول إليه في سنة ٤٦٢ هـ ، ولم يوجد له شيء من المؤلفات على مذهب الإمام أبي حنيفة ، الذي كان عليه في أول حياته ^(١) .

ومن مؤلفاته : كتاب « التفسير » ، الذي امتدحه " أبو سعد السمعاني " بقوله - عند ذكره لمؤلفات جده - : « . . صنف التفسير الحسن المليح الذي استحسنه كل من طالعه » ^(٢) ، وقد ذكره المؤرخ " ابن الأثير " باسم « تفسير القرآن العزيز » ، وأثنى عليه فوصفه بأنه « كتاب نفيس » ^(٣) ، وهو في ثلاثة مجلدات ^(٤) .

وفي الحديث النبوي الشريف صنف كتاب « الانتصار » ، وأشار إليه " الذهبي " باسم « الانتصار بالأثر » ، وذكر أنه في الرد على المخالفين ^(٥) ، وسمّاه صاحب « كشف الظنون » « الانتصار لأصحاب الحديث » ، وهو - كما يقول - مختصر في ثلاثة أبواب : الأول : في الحث على السنة والجماعة ، والثاني : في فضل الحديث ، والثالث : في شجرة العلم ^(٦) .

(١) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٤٤ .

(٢) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٢٩٩ .

(٣) اللباب في تهذيب الأنساب ، ج ١ ، ص ١٤ .

(٤) الرافعي : التدوين في أخبار قزوين ، ج ٤ ، ص ١١٩ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٧ .

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٧ .

(٦) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار العلوم الحديثة ، بيروت ، ج ١ ، ص ١٧٣ .

وألّف في الحديث أيضاً كتاب « منهاج أهل السنة »^(١) ، وقد ذكره الحافظ " الذهبي " باسم « المنهاج لأهل السنّة »^(٢) .

وفي أصول الفقه صنّف الإمام " أبو المظفر السمعاني " كتاب « القواطع » ، وقد أثنى " أبو سعد السمعاني " على هذا الكتاب ، وقال إنّه يُغني عمّا صنّف في ذلك الفن^(٣) ، كما امتدحه " السبكي " بقوله : « ولا أعرف في أصول الفقه أحسن من كتاب القواطع ، ولا أجمع »^(٤) .

وله أيضاً كتاب « المختصر » ، ويُعرف باسم « الاصطلام » ، وقد سار ذكره في الآفاق ، وأورد " السبكي " في « طبقاته »^(٥) بعضاً من المسائل والفوائد التي ذكرها فيه .

ومن آثاره العلمية أيضاً :

- كتاب « الردّ على القدرية » ، وقد ذكر الإمام " أبو سعد السمعاني " أنّه يربو على عشرين جزءاً^(٦) ، وذكره " الذهبي " باسم كتاب « القدر »^(٧) .

(١) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٢٩٩ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨٧ - ٤٩٠ هـ) ، ص ٣٢٤ ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٧ .

(٣) الأنساب ، ج ٣ ، ص ٢٩٩ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٥ ، ص ٣٤٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٣٤٥ .

(٦) الأنساب ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ .

(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٩ ، ص ١١٧ .

- كتاب « البرهان » ، وهو في الخلاف ، ويشتمل على نحو ألف مسألة خلافية ^(١) .

- كتاب « الأوساط » .

- كتاب « الأمالي » ^(٢) .

وتذكر بعض الروايات التاريخية أن "أبا بكر محمد بن منصور السمعاني" ، شرع في تصنيف عدد من الكتب ، لكن المنية عاجلته قبل أن يتم شيئاً منها ^(٣) . ولم تذكر المصادر شيئاً عن العلوم التي ألف فيها ، ومن المرجح أنها لم تخرج عن إطار العلوم التي كان بارعاً فيها وفارساً في ميدانها ، وهي : الفقه ، والحديث ، ومعرفة الرجال ، والأدب ، والتاريخ ، والأنساب .

ومع أن الإمام "أبا بكر السمعاني" لم يُقدّر له أن يُنجز شيئاً من مصنفاته ، إلا أن كثيراً من آرائه العلمية ، وما بقي من أشعاره ، قد حُفظت ، وأفاد منها العلماء الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده ،

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ٢١١ .

(٢) انظر عن آثار الإمام "أبي المظفر السمعاني" : (السمعاني : الأنساب ، ج٣ ص ٢٩٩ ، ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٧ ، ص ٣٧-٣٨ ، ابن الأثير : الباب ج١ ، ص ١٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ٢١١ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٤٨١-٤٩٠ هـ) ، ص ٣٢٤ ، سير أعلام النبلاء ، ج١٩ ، ص ١١٦-١١٧ ، الباقعي : مرآة الجنان ، ج٣ ، ص ١٥١ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٥ ، ص ٣٤٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص ١٦٤ ، ابن قاضي شهاب : طبقات الشافعية ، ج١ ، ص ٢٨١ ، الداودي : طبقات المفسرين ، ج٢ ، ص ٣٤٠) .

(٣) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٣٠٠ .

واستعرضوا بعضها في مصنفاتهم ، ومن هؤلاء العلماء الإمام " تقي الدين ابن الصلاح " ^(١) والحافظ " محيي الدين النووي " ^(٢) ، والعلامة " تاج الدين السبكي " ^(٣) .

وقد أملى " أبو بكر السمعاني " في مجالس علمه مائة وأربعين مجلساً ، ودوّنت هذه المجالس ، وبلغت - وفقاً لقول " النووي " - ثلاثة مجلدات ^(٤) ، وانتفع بها العلماء ، وحظيتُ بثناء الكثير منهم في سائر العصور ، ومن بينهم نجله الحافظ " أبو سعد السمعاني " ^(٥) ، والمؤرخ " ابن الأثير " ^(٦) ، والحافظ " النووي " ^(٧) ، والعلامة " السبكي " ^(٨) ، والإمام " جلال الدين السيوطي " ^(٩) .

وكان أعظم السمعانيين شأنًا وأطولهم باعًا في ميدان التصنيف ، هو - بلا منازع - الإمام الحافظ " أبو سعد السمعاني " ، فقد صَنَّفَ كُتُبًا كثيرة في عدد من فنون العلم والمعرفة ، كالحديث والفقه والتاريخ والأنساب . . وكان لآثاره العلمية أصداء بارزة عند العلماء ، فقد أفادوا منها في مختلف العصور وفي سائر البلدان .

-
- (١) طبقات الفقهاء الشافعية ، ج١ ، ص ٢٧٢-٢٧٤ .
 - (٢) مختصر طبقات الفقهاء ، ص ٢٨٢-٢٨٣ .
 - (٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص ٩-١١ .
 - (٤) مختصر طبقات الفقهاء ، ص ٢٨٢ .
 - (٥) السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٣٠٠ .
 - (٦) ابن الأثير : اللباب ، ج٢ ، ص ١٣٩ .
 - (٧) النووي : مختصر طبقات الفقهاء ، ص ٢٨٢ .
 - (٨) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص ٧ .
 - (٩) السيوطي : طبقات الحُفَاط ، ص ٤٥٩ .

كما حظيت آثاره بثناء الكثير من العلماء ومدحهم ، فوصفها العلامة " ابن الأثير " بأنها « مصنفاتٌ حسنةٌ غزيرة الفائدة »^(١) ، وقال " ابن النجار " - مُشيداً بالإمام " أبي سعد السمعاني " - إنه « ملّيح التصانيف »^(٢) ، كما امتدحه " السبكي " فوصفه بـ « صاحب التصانيف المفيدة الممتعة »^(٣) ، ووصفه " ابن قاضي شهبه " أيضاً بـ « صاحب التصانيف الكثيرة والفوائد الغزيرة »^(٤) .

وقد فقدت معظم مصنفات الإمام " أبي سعد السمعاني " ولم يبقَ منها سوى عدد يسير ، ويُعزى ذلك بدرجة رئيسة إلى ما تعرّضت له مدينة " مرو " - موطن السمعانيين - من هجومٍ مدمرٍ على أيدي المغول في أوائل القرن السابع الهجري - شأنها في ذلك شأن كثير من مدن المشرق الإسلامي في تلك الفترة - وما نتج عنه من حرق وتدمير وضياع لكثير من الكنوز العلمية^(٥) .

ويعتبر كتاب « الأنساب » أبرز مؤلفات الإمام " أبي سعد السمعاني " وأكثرها أهميةً وأوسعها شهرةً ، وقد مهّد له بالحديث عن الحثّ على تعلّم الأنساب ومعرفتها ، ثم ذكر نسب الرسول صلى الله

(١) الباب في تهذيب الأنساب ، ج ١ ، ص ١٤ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص ١٢١ ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٤٦٢ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ١٨٠ .

(٤) ابن قاضي شهبه : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٣٤٤ .

(٥) انظر : السمعاني : التحير في المعجم الكبير ، ج ١ ، مقدّمة التحقيق ، ص ٢٨ .

عليه وسلّم ، ونسب بني هاشم عامّةً ، ثمّ توسّع فذكر نسب قريش ، ونسب العرب وأصلهم ، ثمّ أشار إلى أنساب بعض القبائل العربية مفصّلةً ، ومن ثمّ شرع في ذكر الأنساب إلى القبائل أو البلدان أو غيرها ، مرتّبةً على الحروف ، مُضمّناً كلّ نسبة تراجم الأعلام المشهورين بها ، ولذا اشتمل كتابه على تراجم لآلاف من العلماء والأعيان ^(١) . . ولم يكن هدف " السمعاني " تحقيق أسماء الأعلام وأنسابهم ، بل توضيح أصل الأسماء التي نُسبوا إليها واشتقاقها ^(٢) .

وتحدّث " السمعاني " في كتابه « الأنساب » عن أسرته في بضعة صفحات ، ذكر فيها بعض من اشتهر من آبائه وأجداده وأعمامه - باختصار - وأورد معلومات قيمة عنهم ^(٣) .

وقد اختصره العلامة " ابن الأثير " في كتابه « اللباب في تهذيب الأنساب » ، واستدرك عليه بعض المعلومات والروايات ، وصحّح ما ورد في بعض مواضعه من هفوات ، ثمّ اختصر الإمام الحافظ " جلال الدين السيوطي " كتاب « اللباب . . » في كتاب سمّاه « لبّ اللباب في تحرير الأنساب » ، وله أيضاً مختصرات أخرى عديدة ^(٤) .

(١) انظر : السمعاني : الأنساب ، ج ١ ، ص ١٧ وما بعدها .

(٢) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ص ٣٤٤ .

(٣) السمعاني : الأنساب ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ - ٣٠١ .

(٤) انظر عن مختصرات كتاب (الأنساب) : بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية : د . السيّد يعقوب بكر ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ج ٦ ، ص ٦٤ - ٦٥ .

ومن آثار الإمام " أبي سعد السمعاني " البارزة ، كتاب « التحبير في المعجم الكبير » ، وهو في تراجم شيوخه ، ويحتوي على تراجم مختصرة لـ (١١٩٣) عالم من العلماء الذين تتلمذ الإمام أبو سعد السمعاني " عليهم ، وقد رتب التراجم على حروف المعجم ، وجعل لكل حرف باباً مستقلاً ، فاشتمل على ثمانية وعشرين باباً . ويُعدّ كتاب « التحبير » مصدراً رئيساً لكثير من كتب التراجم ، وبخاصّة في تراجم بعض علماء المشرق الإسلامي في القرن السادس الهجري ^(١) .

وقد ترجم فيه " السمعاني " باختصار - لبعض أفراد أسرته ، ومنهم : عمّه " أبو محمد الحسن بن منصور السمعاني " ^(٢) ، وأخوه " أبو المظفر عبد الوهاب بن محمد بن منصور السمعاني " ^(٣) ، وابن عمّه " أبو منصور محمد بن الحسن بن منصور السمعاني " ^(٤) ، وقد أفدتُ من هذه التراجم في مواضع عدّة من هذه الدراسة .

وللسمعاني أيضاً كتاب « أدب الإملاء والاستملاء » ، وقد ألفه سنة ٥٤١ هـ ^(٥) ، وتحدّث فيه عن علم الحديث ، وألفاظ الحديث النبوي ، وأهميّة الأسانيد ، وطرائق روايته عن العلماء ، وإملاء الحديث وتدوينه ، ومجالس الإملاء ، وفضل طلب العلم والعناية به .

(١) انظر : السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ، ج ١ ، مقدّمة التحقيق ، ص ١٣ ، ٤٧ ، ٥٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٦-٢١٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٠٣-٥٠٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ١١١-١١٢ .

(٥) انظر : السمعاني : أدب الإملاء والاستملاء ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، الطبعة الأولى ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ١٩٨ .

ثمّ أطنب في الحديث عن أدب مَنْ يتولّى الإملاء في مجالس العلم مثل حُسْن المظهر وحسُن الخُلُق ونحوها ، وعن عقد المجالس العلمية في المساجد وآدابها ، واستحباب رواية العلم عن الأئمة المشاهير الثقات وتحدّث بعد ذلك عن أدب المستملي ، مثل أن يكون فصيحاً جهوري الصوت ، لأنّه يُردّد ما قاله الشيخ أمام الحاضرين في مجلس العلم ، وأن يكون موضع جلوسه مرتفعاً حتّى يراه الناس ، وإذا زاد عدد الحاضرين في المجلس ينبغي أن يكون هناك أكثر من مستمّل حتّى يبلغ بعضهم بعضاً . . ثمّ أسهب في الحديث عن آداب مجالس العلم والإملاء ، وما ينبغي على الطلاب مراعاته فيها من أمور ، واختتم حديثه ببيان أدوات الإملاء وآلاته ، مثل: المحبرة ، والقلم ، والورق ، ونحوها ^(١) .

ومن مصنّفاته أيضاً كتاب « طراز الذهب في أدب الطلب » ، وهو في آداب طلب العلم ، وقد أشار إليه في كتابه « أدب الإملاء . . » في أكثر من موضع ^(٢) ، ويُستشفّ من هذه الإشارات أنّه كتابٌ مفصّلٌ ؛ لأنّه يُحيل إليه ، مبيناً أنّه أسهب الحديث فيه عن بعض الموضوعات التي أشار إليها مقتضبةً في كتابه « أدب الإملاء . . » ، ومن المرجّح أنّ " السمعاني " صنّف كتابه « طراز الذهب . . » قبل سنة ٥٤١ هـ ، لأنّه يُشير إليه - كما ذكرنا - في كتابه « أدب الإملاء . . » الذي ألفه في تلك السنة .

(١) السمعاني : المصدر السابق ، ص ٩ وما بعدها .

(٢) انظر : السمعاني : المصدر السابق ، ص ١٦٥ ، ١٩٨ .

وللحافظ " أبي سعد السمعاني " مصنفٌ في " فضائل الشام " ، وهو كُتَيْبٌ صغير ، أورد فيه عدداً من الأحاديث النبوية ، المتعلقة بفضل بلاد الشام ، وبعض أقوال الصحابة والتابعين في مدحها والثناء على أهلها ، وختمه بأبيات من الشعر قيلت في مدح بعض البلدان الشامية ^(١) . . وهذا الكتاب من القلة القليلة التي بقيت من آثار الإمام " أبي سعد السمعاني " ، ولم تتعرض لعوادي الزمن .

ومن مؤلفاته أيضاً كتاب « فرط الغرام إلى ساكني الشام » . وهو في ثمانية أجزاء ، وقد صنفه سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٥ م ، أي قبيل وفاته بسنتين ، رحمه الله ، وبعث بنسخة منه إلى معاصره الإمام الحافظ " ابن عساكر " في بلاد الشام ، وكان قد ألتقى به في مدينة " دمشق " ، في أثناء رحلاته العلمية ، وعبر فيه عن صدق مودته ، وتقديره له . وقد ذكر " ابن عساكر " أنه يشتمل على « قطعة من الأحاديث المسانيد . . . وجملة من الحكايات والأناشيد » . وسرّ كثيراً لتواصل الإمام " السمعاني " معه ووفائه له ، فذكر أن ذلك « يدلّ على صحّة ودّه ، ودوامه على حُسن عهده » ^(٢) . . وهكذا تكون أخلاق العلماء .

وللسمعاني آثارٌ أخرى كثيرة ، معظمها في عداد المفقود ، وقد أشارتُ إليها بعض المصادر التاريخية ، ومنها :

(١) انظر : السمعاني : فضائل الشام ، تحقيق : عمرو علي عمر ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة العربية ، دمشق ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م ، ص ٣١ وما بعدها .

(٢) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج ٣٦ ، ص ٤٤٨ ، وانظر أيضاً : ابن الأثير اللباب ، ج ١ ، ص ١٥ .

- كتاب « تاريخ مرو » ، ويقع - كما يقول " ابن الأثير " ^(١) و " ابن خلّكان " ^(٢) - في أكثر من عشرين مجلّدًا .

- كتاب « الذيل على تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي ، وهو كتاب " كبير " ، يذكر " ابن خلّكان " ^(٣) أنّه يقع في خمسة عشر مجلّدًا ، وتُشير بعض الروايات إلى أنّه يُناهز في حجمه وامتداد مساحته العلمية « تاريخ بغداد » ، للخطيب ^(٤) .

- كتاب « معجم البلدان » ، وقد ذكره الحافظ " الذهبي " ^(٥) والعلامة " تاج الدين السبكي " ^(٦) ، وأشارا إلى أنّه خاصّ بالبلدان التي سمع بها " السمعاني " .

- كتاب « الدعوات النبوية » ، وتذكره بعض المصادر باسم « الدعوات المروية عن الحضرة النبوية » .

- كتاب « أفانين البساتين » ^(٧) ، وقد ذكره " ياقوت الحموي " باسم كتاب « الأفانين » وأفاد منه في حديثه عن مدينة " سمرقند " ^(٨) .

(١) ابن الأثير : اللباب ، ج١ ، ص ١٤ .

(٢) وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ٢١٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٢١٠ .

(٤) السخاوي : الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ص ١٢٣ ، مريزن سعيد مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .

(٥) تاريخ الإسلام ، حوادث وفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٦) طبقات الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص ١٨١ .

(٧) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث وفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص ١٢٢ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص ١٨٣ .

(٨) معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٢٤٩ .

- كتاب « حث الإمام على تخفيف الصلاة » ، وقد ذكره " الذهبي " في كتابه « تاريخ الإسلام » ^(١) بهذا الاسم ، في حين ذكره في « السّير » ^(٢) باسم « تخفيف الصلاة » ، وذكره " السبكي " في « طبقاته » باسم « حث الإمام على تخفيف الصلاة مع الإتمام » ^(٣) .

- كتاب « السّند لمن اكتنى بأبي سعد » ^(٤) ، وتذكره بعض المصادر باسم « الشّدّ والعدّل لمن اكتنى بأبي سعد » ^(٥) .

- كتاب « الربح في التجارة » ^(٦) ، ويُسمّى أيضًا « الربح والخسارة في الكسب والتجارة » ^(٧) .

- كتاب « الإسفار عن الأسفار » ^(٨) ، ويُسمّى أيضًا « الإسفار عن حكم الأسفار » ^(٩) .

- كتاب « الأمالي الخمسمائة » ، وقد عُرف بهذا الاسم لأنّه أملاه في خمسمائة مجلس ^(١٠) .

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث وفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص ١٢٣ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٤٦٢ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ١٨٤ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث وفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص ١٢٣ .

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ١٨٤ .

(٦) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث وفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص ١٢٣ .

(٧) طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٧ ، ص ١٨٤ .

(٨) الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث وفيات (٥٦١ - ٥٧٠ هـ) ، ص ١٢١ .

(٩) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ج ٦ ، ص ٦٥ .

(١٠) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ٢٠ ، ص ٤٦١ .

- كتاب « تبين معادن المعاني » ، وهو في لطائف القرآن الكريم .
- كتاب « تاريخ الوفاة للمتأخرين من الرواة » .
- كتاب « معجم الشيوخ » .
- كتاب « فضل صلاة التسبيح » .
- كتاب « تحفة العيدين » .
- كتاب « ذكرى حبيب رحل ويشرى مشيب نزل » .
- كتاب « الأخطار في ركوب البحار » .
- كتاب « التحايا والهدايا » .
- كتاب « الأدب في استعمال الحسب » .
- كتاب « تحفة المسافر » .
- كتاب « المناسك » .
- كتاب « صوم الأيام البيض » .
- كتاب « سلوة الأحباب ورحمة الأصحاب » .
- كتاب « لفظة المشتاق إلى ساكني العراق » .
- كتاب « فوائد الموائد » .
- كتاب « صلاة الضحى » .
- كتاب « صلاة الصبح » .

- كتاب «الصدق في الصداقة» .
- كتاب «النزوع إلى الأوطان» .
- كتاب «التحف والهدايا» .
- كتاب «الهدية» .
- كتاب «الأُمالي» .
- كتاب «بُخار بُخُور البخاري» .
- كتاب «التذكرة والتبصرة» .
- كتاب «دخول الحمّام» .
- كتاب «الحلاوة» .
- كتاب «الحثّ على غسل اليد» .
- كتاب «الهريسة» .
- كتاب «المساواة والمصافحة» .
- كتاب «عزّ العزلة» .
- كتاب «فضل يس» ، ويسمّى أيضاً «فضائل سورة يس» ^(١) .

(١) عن مصنفات الإمام "أبي سعد السمعاني" ، انظر: (السمعاني: التحبير في المعجم الكبير ، ج١ ، مقدمة التحقيق ، ص ٢٨- ٣٢ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث ووفيات (٥٦١- ٥٧٠هـ) ص ١٢١- ١٢٣ ، تذكرة الحفاظ ج٤ ، ص ١٣١٧- ١٣١٨ ، سير أعلام النبلاء ، ج٢٠ ، ص ٤٦٠- ٤٦٢ ، ابن الدميّاطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ص ١٧٣ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، ج٧ ، ص ١٨٢- ١٨٤ ، السيوطي : طبقات الحُفَظ ، ص ٤٧٣ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ج٦ ، ص ٦٥- ٦٦) .

وهكذا كانت للسمعانيين جهودٌ قيّمةٌ في إثراء المكتبة الإسلامية بالكثير من المصنّفات والآثار العلمية ، ولئن كانت الغالبية العظمى من هذه الآثار قد فُقدتْ ، وضاعت بفقدانها كنوزٌ عظيمةٌ ، فإنّ البقية الباقية منها تُنبئ بحقّ عمّا كان لهذه الأسرة العربية الكبيرة (أسرة السمعانيين) من أثر كبير في ميدان مهمّ من ميادين الحياة العلمية في المشرق الإسلامي .

لقد كان للآثار العلمية التي صنّفها السمعانيون - ولا سيّما الإمام "أبو سعد السمعاني " ، وجدّه العلامة " أبو المظفر السمعاني " - أهمّيتها الكبيرة وقيمتها العالية ، فقد أفاد منها الكثير من العلماء المعاصرين لهم ، أو من عاش في العصور التالية ، ويتّضح ذلك جليّاً من خلال الاطلاع على بعض مصنّفات أولئك العلماء . .

ومن أبرز العلماء الذين أفادوا من آثارهم العلمية " ياقوت الحموي " في كتابيه « معجم الأدباء » ، و « معجم البلدان » ، و " تقيّ الدين ابن الصلاح " في كتابه « طبقات الفقهاء الشافعية » ، و " ابن خلكان " في كتابه « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » ، و " ابن العديم " في كتابه « بُغية الطلب في تاريخ حلب » ، و " الذهبي " في معظم آثاره ، و " السبكي " في كتابه « طبقات الشافعية الكبرى » ، و " القُرشي " في كتابه « الجواهر المضية في طبقات الحنفية » ، و " ابن حجر العسقلاني " في كتابه « لسان الميزان » . .

الخاتمة :

وبعد : فقد كشفت هذه الدراسة عن نتائج عديدة ، وعن حقائق تاريخية جديدة ، أهمها ما يلي :

- اشتهر السمعانيون على ساحة الحياة العلمية في المشرق الإسلامي ، وعلا شأنهم وذاع صيتهم ، في الفترة الواقعة بين مستهل القرن الخامس الهجري ، وأواخر العقد الثاني من القرن السابع الهجري ، حيث تلاشى ذكرهم مع ظهور المغول على مسرح الأحداث في المشرق ..

- بلغ عدد السمعانيين الذين عُرفوا من خلال كتب التاريخ والتراجم وكانت لهم جهودٌ في ميادين الحياة العلمية في المشرق الإسلامي ، أربعة عشر علماً ، كان أول من اشتهر منهم "أبا منصور محمد بن عبد الجبار السمعاني" ، المتوفى سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨ م ، وأعظمهم منزلةً "أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني" ، المتوفى سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٧ م ، وآخرهم "أبو زيد محمد ابن عبد الكريم السمعاني" ، الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين ..

- كانت للسمعانيين جهودٌ كبيرةٌ في ميدان الرحلة في طلب العلم ولقاء العلماء ، وكان أعظمهم شأنًا في هذا الميدان "أبو سعد السمعاني" ، الذي طوّف في الكثير من البلدان ، وحرص على لقاء الجُم الغفير من العلماء ، حتّى إنّه دخل بعض المدن الشاميّة التي كانت تحت السيطرة الصليبية ، كالقدس والخليل ، وهو أمرٌ لم يتيسّر حتّى

لبعض علماء الشام . .

- بلغ عدد شيوخ الإمام " أبي سعد السمعاني " أكثر من أربعة آلاف شيخ ، وفي رواية سبعة آلاف ، وهو عددٌ لم يبلغه عالم آخر على مرّ العصور ، وكان من أسباب كثرة شيوخه أنّه اعتبر كلَّ مَنْ روى له مسألةً من مسائل العلم ، أو بعضاً من أبيات الشعر ، شيخاً له ، حتّى ولو كان ذلك شيئاً يسيراً ، كما أنّه طلب العلم على الرجال والنساء ، هذا فضلاً عن سعة رحلاته في طلب العلم وشمولها لعدد كبير من المدن الإسلامية . .

- أسهم معظم السمعانيّين في العناية بالعلوم الشرعية ، ونبغوا فيها إلى حدٍّ بعيد ، وأضحى عددٌ منهم أئمّةً في الفقه والحديث والتفسير ، وكان أبرزهم في هذا الميدان الإمام " أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبّار السمعاني " ، وابنه الأكبر " أبو بكر محمد بن منصور السمعاني " ، وحفيده " أبو سعد عبد الكريم السمعاني " ، وابن حفيده " أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني " . .

- عُني بعض السمعانيّين باللغة والأدب ، وتميّزوا فيهما ، وكان أكثرهم نبوغاً في ميادينهما " أبو بكر السمعاني " ، الذي كان - إلى جانب تبخّره في اللغة - شاعراً أيضاً ، كما كان منهم آخرون ينظّمون الشعر ، مثل " أبي القاسم أحمد بن منصور السمعاني " ، وابنه " محمد بن أحمد بن منصور السمعاني " ، وابن أخيه " محمد بن الحسن السمعاني " .

- أوضحت هذه الدراسة أنّه على الرغم من أنّ السمعانيّين عاشوا في العصر السلجوقي ، وهو العصر الذي شهد إحياء اللغة الفارسيّة من - ٧١٨ -
مجلة جامعة الإمام (العدد ٢٤) ربيع الآخر ١٤٢٢هـ

جديد ، بل وسرعة غوّها وانتشارها في خراسان وفي أقاليم أخرى عديدة من بلاد المشرق الإسلامي ، بتشجيع من زعماء السلاجقة ، على الرغم من ذلك ، إلا أنّ النشاط العلمي للسمعانيين ظلّ في معظم نواحيه مقتصرًا على اللغة العربية . . ومع أنّ بعضهم كان يُتقن الفارسيّة ويُنظم الشعر بها أيضًا ، إلاّ أنّه لم يكن لها أثر يُذكر في حياتهم العلمية ، بل كان جلّهم يُدرّس ويناظر ويَعظ ويُفتي ويُحدّث ويُصنّف باللغة العربية فحسب . .

- شملتُ عناية السمعانيين بالعلوم ، وتبحّروا في ميادينها - بالإضافة إلى العلوم الشرعية واللغة والأدب - علوم التاريخ والتراجم والأنساب والجغرافيا ، وكان أكثرهم اهتمامًا بهذه العلوم ، الإمام "أبو سعد السمعاني " ، كما كان لوالده "أبي بكر السمعاني " ونجله "أبي المظفر عبد الرحيم السمعاني " معرفةٌ بهذه العلوم ، واهتمامٌ ببعض جوانبها .

- اتّضح لنا من خلال هذه الدراسة أنّه على الرغم من نبوغ السمعانيين في كثير من العلوم ، إلاّ أنّه لم يكن لأحد منهم ميولٌ إلى العلوم التجريبية ، كالطبّ والفلك والرياضيات والكيمياء ونحوها .

- تبينَ لنا في هذه الدراسة أنّ السمعانيين كانت لهم جهودٌ بارزةٌ في ميدان التعليم ، وفي إفادة الناس ونشر العلم بينهم ، وقد شملتُ جهودهم الدروس العلمية في المساجد ، وما كان يتخلّلها من إملاء الحديث ، والتذكير والوعظ ، ونحوه ، وكذلك التعليم في بعض المدارس . ولم تقتصر جهودهم في هذا الميدان على موطنهم (مدينة مرو) فقط ، بل شملت بلادًا أخرى عديدة ، فقد حدّث بعضهم في

مدن " بلخ " ، و " هراة " ، و " نيسابور " ، و " بغداد " ،
وغيرها . وقد أفاد منهم عددٌ كبيرٌ من طلاب العلم المعاصرين لهم .

- أدرك السمعانيون أهمية الكتب والمكتبات وضرورتها في الحياة العلمية ، ولذا أسهموا في إنشاء بعض خزائن الكتب في مدينة " مرو " ، حيث أنشأوا فيها خزينتين ، شكّلتا مع ثمان خزائن أخرى في تلك المدينة منظومةً عظيمةً من الكنوز العلمية ، نَهَلَ منها العلماء في تلك العصور ، وأشاد بها بعضهم ، ومنهم " ياقوت الحموي " ، الذي ذكر أن كثيراً من المعلومات التي ساقها في كتابه « معجم البلدان » إنما استقاها من تلك الخزائن العلمية ، ومن بينها خزانة السمعانيين .

- كان لبعض أئمة السمعانيين جهودٌ مميّزةٌ في ميدان التصنيف والإنتاج العلمي ، شملت مختلف العلوم كالحديث والفقه والتفسير والتاريخ والتراجم والأنساب ، وكان أعظمهم أثراً في هذا المضمار ، الإمام " أبو المظفر السمعاني " ، وحفيده الحافظ " أبو سعد السمعاني " ، الذي بلغت آثاره العلمية أكثر من خمسين كتاباً في سائر العلوم . . وقد أفاد كثيرٌ من العلماء من آثارهم العلمية ، وبخاصّة مصنّفات الإمام " أبي سعد السمعاني " كـ « الأنساب » ، و « التحبير » في المعجم الكبير . .

- تبين لنا في هذه الدراسة أن كتاب « الأنساب » ، للسمعاني ، هو أحد المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها العلامة " ياقوت الحموي " في التعريف بكثير من المدن والمواضع في كتابه القيم « معجم البلدان » ، الأمر الذي يُبرز مدى الاهتمام الذي بذله الإمام " السمعاني " في الميدان الجغرافي .

ملحق (١)
نسب السمعانيين

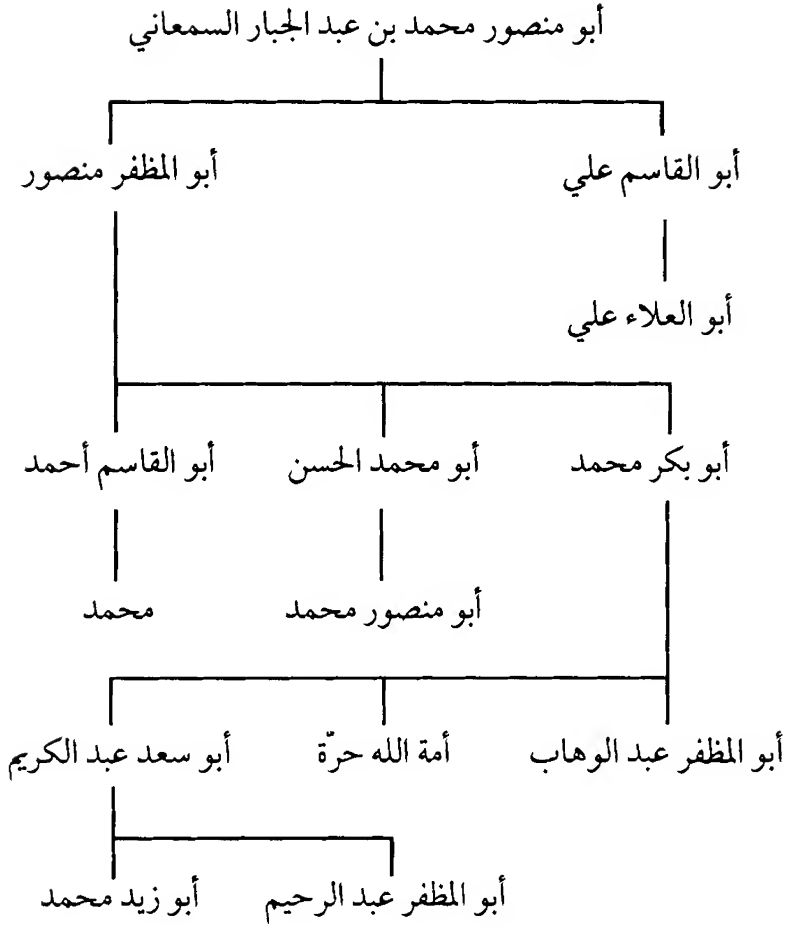
تيم
|
سمعان
|
عبد الله
|
مسلم
|
الربيع
|
الفضل
|
عبد الجبار
|
أحمد
|
جعفر
|
محمد
|
أحمد
|
عبد الجبار
|
محمد

ملحق (٢) قائمة بأعلام السمعانيين

- (١) أبو منصور محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله السمعاني (٤٥٠-١٠٠٠ هـ).
- (٢) أبو القاسم علي بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (١٠٠٠-١٠٠٠ هـ).
- (٣) أبو العلاء علي بن علي بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (١٠٠٠-١٠٠٠ هـ).
- (٤) أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٢٦-٤٨٩ هـ).
- (٥) أبو بكر محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٦٦-٥١٠ هـ).
- (٦) أبو محمد الحسن بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (١٠٠٠-٥٣١ هـ).
- (٧) أبو منصور محمد بن الحسن بن منصور السمعاني (١٠٠٠-٥٣٣ هـ).
- (٨) أبو القاسم أحمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٨٧-٥٣٤ هـ).
- (٩) أبو المظفر عبد الوهاب بن محمد بن منصور السمعاني (٥٠٥-٥١٧ هـ).
- (١٠) أمة الله حرة بنت محمد بن منصور السمعاني (٤٩١-١٠٠٠ هـ).
- (١١) أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (٥٠٦-٥٦٢ هـ).
- (١٢) محمد بن أحمد بن منصور السمعاني (١٠٠٠-٥٨٢ هـ).
- (١٣) أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (٥٣٧ - ٦١٧ ، ٦١٨ هـ).
- (١٤) أبو زيد محمد بن عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (٥٥٤-١٠٠٠ هـ).

ملحق (٣)

شجرة السمعانيين في المشرق



المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

- ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) :
- الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
 - اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت . .
 - الأسنوي : جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م) :
 - طبقات الشافعية ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
 - الباخرزي : أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي الطيّب (٤٦٧هـ / ١٠٧٥م) :
 - دمية القصر وعصرة أهل العصر ، تحقيق: د. سامي مكّي العاني ، الطبعة الثانية ، دار العروبة ، الكويت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
 - البنداري : الفتح بن علي بن محمد (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) :
 - تاريخ دولة آل سلجوق ، الطبعة الثالثة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
 - ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م) :
 - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
 - ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) :
 - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ،

ومصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله ، الشهير بـ " حاجي خليفة " (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م) :

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار العلوم الحديثة ، بيروت .

الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) :

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، تحقيق : د. محمود الطحّان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

ابن الدميّاطي : أحمد بن أيك بن عبد الله (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) :

- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، تحقيق : د. قيصر أبو فرح ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م) :

- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

ابن خلّكان : شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) :

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

الداوودي : شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) :

- طبقات المفسّرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) :

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: الدكتور : عمر عبد السلام تدمري ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- سير أعلام النبلاء ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- العبر في خبر من غبر ، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله بن الدبيشي (ذيل تاريخ بغداد- ج١٥) ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

الرافعي : عبد الكريم بن محمد (ت ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) :

- التدوين في أخبار قزوين ، تحقيق: عزيز الله العطاردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- السبكي : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠م) :**

- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م) :

- الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٧م)

- أدب الإملاء والاستملاء ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، الطبعة الأولى ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- الأنساب ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، الطبعة الأولى ، دار الجنان ، بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- التعبير في المعجم الكبير ، تحقيق : منيرة ناجي سالم ، بغداد ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- فضائل الشام ، تحقيق : عمرو علي عمر ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة العربية ، دمشق ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م):

- طبقات الحُفَظ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

الصريفيني : إبراهيم بن محمد بن الأزهر (القرن السابع الهجري):

- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ، تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م):

- الوافي بالوفيات ، الطبعة الثانية ، دار فرانز شتاينر ، فيسبادان ، ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م.

ابن الصلاح : تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت

٦٤٣هـ / ١٢٤٥م):

- طبقات الفقهاء الشافعية ، تحقيق : محيي الدين علي نجيب ، الطبعة

- الأولى ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- طاش كبري زاده : أحمد بن مصطفى ، الشهير بـ (طاش كبري زاده) (ت ٩٦٨هـ / ١٥٦١م) :
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ابن عبد الهادي الدمشقي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م) :
- طبقات علماء الحديث ، تحقيق : أكرم البوشي ، وإبراهيم الزبيق ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- ابن العديم : كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) :
- بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق : د. سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت .
- ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ / ١١٧٦م)
- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر ، بيروت .
- ابن العماد الحنبلي : أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) :
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) :
- المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة ، بيروت .

أبو فراس الحمداني أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان (ت ٣٥٧هـ / ٩٦٨م) :

- ديوانه ، تحقيق : د. إبراهيم السامرائي ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، عمان ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

ابن قاضي شعبة : أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت ٨٥١هـ / ١٤٤٨م) :

- طبقات الشافعية ، تحقيق : د. عبد العليم خان ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

القرشي : محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد (ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٣م) :

- الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، تحقيق : د. عبد الفتاح محمد الحلو ، الطبعة الثانية ، هَجَر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

ابن قُطْلُوبُغا : أبو الفدا زين الدين قاسم بن قُطْلُوبُغا السُّودُونِي (ت ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م) :

- تاج التراجم ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، الطبعة الأولى ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

القفطي : أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) :

- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

ابن كثير : أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) :

- البداية والنهاية ، تحقيق : د. أحمد أبو ملحم وآخرين ، دار الكتب

العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

الكرديزي : أبو سعيد عبد الحي بن الضحّاك بن محمود (ت ٤٤٢ - ٤٤٣هـ / ١٠٥٠-١٠٥١م) :

- زين الأخبار ، ترجمته من الفارسيّة إلى العربيّة : د. عفاف السيّد زيدان ، الطبعة الأولى ، دار الطباعة المحمّدية ، القاهرة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

المنذري : أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) :

- التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق : د. بشّار عوّاد معروف ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .

النسوي : محمد بن أحمد (القرن السابع الهجري) :

- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق : حافظ أحمد حمدي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٣م .

النوي : محيي الدين أبو زكريّا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) :

- مختصر طبقات الفقهاء ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، وعلي معوّض ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

ابن هداية الله الحسيني : أبو بكر (ت ١٠١٤هـ / ١٦٠٥م) :

- طبقات الشافعية ، تحقيق : عادل نويهض ، الطبعة الثالثة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

ابن الوردي : أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) :

- تاريخه ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

اليافعي : أبو محمد عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م) :

- ٧٣٠ - مجلة جامعة الإمام (العدد ٢٤) ربيع الآخر ١٤٢٢هـ

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

ثانياً : المراجع :

إقبال : عباس :

- تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ، ترجمه من الفارسية إلى العربية د . محمد علاء الدين منصور ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

بارتولد : ف .

- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ترجمه من الروسية إلى العربية ، صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

بروكلمان : كارل :

- تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية: د . السيد يعقوب بكر ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة .

حسين : د . عبد النعيم محمد :

- سلاجقة إيران والعراق ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

حلمي : د . أحمد كمال الدين :

- السلاجقة في التاريخ والحضارة ، الطبعة الثانية ، ذات السلاسل ، الكويت ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

زامبور : إدوارد فون :

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة مجلة جامعة الإمام (العدد ٢٤) ربيع الآخر ١٤٢٢هـ - ٧٣١ -

د. زكي محمد حسن ، وآخرين ، القاهرة ، ١٩٥١ م.

الزركلي : خير الدين :

- الأعلام ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ م.

عسيري : د. مريزن سعيد مريزن :

- الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، الطبعة الأولى ،
مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

القامدي : د. سعد بن محمد حذيفة :

- أوضاع الدول الإسلامية في الشرق الإسلامي ، الطبعة الثانية ،
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

كراتشكوفسكي : أغناطيوس يوليانيوفتش :

- تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمه من الروسية إلى العربية
صلاح الدين عثمان هاشم ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الإسلامي ،
بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.

لسترنج : كي :

- بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد ،
الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.